سلسلة الرسائل الجامعية (١٣)

الاتجاهات العقلانية الحديثة

بقلم
أ. د/ ناصر بن عبد الكريم العقل
أستاذ العقيدة بكلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

دار الفضيلة

المبحث السابع
مزاعم المدرسة العقلانية في السنة وحجيتها والسلف

أولاً: السُّنة وحجيتها:

السنة النبوية هي: ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خُلُقية، أو خَلْقِية[١].

ويطلق من الناحية العلمية التخصصية على الحديث وعلومه.

والسنة هي المصدر الثاني من مصادر العقيدة والتشريع الإسلامي، بعد القرآن الكريم.

ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله يوجب تصديق ما جاء عنه ﷺ إن كان خبراً، كما يوجب اتباعه وطاعته إن كان أمراً، أو نهياً، أو إباحة[٢]..

وقد أمرنا الله تعالى باتباع سنة نبيه، كما أمرنا باتباع كتابه، قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [٧: الحشر].

وقال الرسول ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة رسوله**»[٣]..

وقال ﷺ في حديث العرباض بن سارية، فذكر الحديث إلى أن قال:

---

(١) الفتاوى لابن تيمية جـ١٨، ص٦ ـ ٩، والسنة ومكانتها في التشريع لمصطفى السباعي ٤٧.

(٢) راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية ص٧ جـ١٨.

(٣) موطأ مالك ـ كتاب القدر ـ الحديث رقم (٣)، والحاكم في مستدركه في كتاب العلم جـ١، ص٩٣.

«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكو بها وعضوا عليها بالنواجذ»[١] إلخ الحديث.

وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه»[٢]... إلخ الحديث.

كما أن المسلمين أيضًا مجمعون على حجية السنة النبوية وأنها وحي من الله تعالى لرسوله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولم يشذ عن هذا إلا المنافقون والزنادقة.

أما المدرسة العقلية الحديثة فإنها تنظر إلى السنة نظرة أقلها الشك والتوقف في حجية السنة النبوية، أو بعضها.

فتتفاوت مواقف العقلانيين المحدثين من السنة ما بين رافض لها ولحجيتها البتة، وما بين من يرد بعضها، أو لا يقبل إلا المتواتر، والسمة الغالبة على العقلانيين تجاه السنة أن ليس لهم قاعدة في منهجهم تجاه السنة، لكن يجمعهم أنهم يحكمون عقولهم القاصرة في ذلك فتجد أحدهم يرد ما شاء من الأحاديث الصحيحة بهواه وحسب مزاجه أو منهجه الذي ارتضاه لنفسه، ولهم في هذا شبهات كثيرة ومتنوعة كذلك، وأغلبهم يلجأون إلى لمز رواة السند من الصحابة ومن دونهم.

---

(١) هذه من رواية أبي داود في سننه حديث رقم (٤٦٠٧) باب لزوم السنة، وأخرجه الترمذي في كتاب العلم حديث رقم: (٢٦٧٦)، وأخرجه أحمد في المسند جـ٤ ص١٢٦، ١٢٧، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين رقم (٤٢).

(٢) هذا رواية أبي داود في سننه ـ باب لزوم السنة (٤٦٠٤)، كما أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه. راجع جامع الأصول ص٢٨١، جـ١.

ومنهم من يرىٰ أن كتب الحديث الصحيحة اشتملت علىٰ كثير من الأحاديث غير الصحيحة مما يبطل أو يضعف من قوة الاحتجاج بالسنة عمومًا، وبين هذه الآراء شبهات تتفاوت.

إنما العقلية الحديثة علىٰ العموم تطعن في حجية السنة النبوية، وقد كثرت منهم المؤلفات والرسائل والبحوث في هذا.

وأصبحت السمة السائدة عند غالب العقلانيين المعاصرين، أن الأحاديث النبوية علىٰ الأقل إن لم تكن من وضع الرواة في العصور الأولىٰ، فهي مشكوك في صحة نسبتها عن المعصوم ﷺ، ولذلك قد يطعنون في السند وقد يطعنون في المتن علىٰ غير قاعدة عندهم، إنما يجمعهم الهوىٰ وتقديم الرأي الشخصي علىٰ النص الشرعي.

بل وصلت الحماقة ببعضهم إلىٰ التشكيك في السنة كلها بما في ذلك كتب الصحاح كما فعل إسماعيل أدهم في رسالته عن تاريخ السنة.[1] وفي الآونة الأخيرة كَثُرَ هذا الصنف من الذين يطعنون في السنة ـ لا كَثَّرهم الله ـ أمثال: الترابي، ومصطفىٰ المهدوي، وجمال البنا، ومحمد سعيد مشتهري، وإسماعيل منصور، وصبحي منصور، والمتنبي الكذاب رشاد خليفة[2].

هذا وتتلخص شبهات العقلية الحديثة حول السنة في:

* الشك في نقل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وروايتهم وهم نقلة السنة، واتهام نواياهم وأنهم تغيروا بعد رسول الله ﷺ وصارت مواقف وآراء وأهواء. وكذلك بقية رواة الحديث وعلمائه علىٰ وجه العموم بدعوىٰ أنهم هم الذين وضعوا الأحاديث تبعًا لمذاهبهم واتجاهاتهم وأهوائهم.

* ومن ثم الشك في نسبة كل ما نقلوا من الأحاديث والآثار.

---

(١) راجع مجلة الفتح عدد ٤٩٤ والسنة ومكانتها في التشريع لمصطفىٰ السباعي ٢٣٧.

(٢) راجع شبهات وشحطات منكري السنة لأبي إسلام أحمد عبد الله.

* الدعوة إلى الاكتفاء بالقرآن، وأنه وحده مصدر التشريع والتلقي المأمون.

* ادعاء فساد، أو نقص، مقاييس علماء الحديث، في تصحيح السنة، سنداً، ومتناً ورواية ونصّاً، أو أنهم عنوا بالسند، ولم يعنوا بالمعنى والمتن، وأنه لابد من تمحيصها من جديد على ضوء العلمية والعقلية الحديثة، ومن ثم صاروا يدعون إلى وضع مقاييس غير مقاييس علماء الحديث الأئمة الأعلام، والتي تعارف عليها المسلمون.

* دعوى أن السنة لم تتوفر لها الأسباب الكافية للحفظ والثبوت.

* الدعوة إلى الاهتمام بالسنة لمجرد المتعة الأدبية والفنية والبلاغية فحسب، أو لأنها مجرد تراث يفتخر به كغيره من التراث المطمور، الذي لم يعد صالحًا للتطبيق في هذا العصر... إلخ.

* هذا مجمل آراء العقلية الحديثة في السنة النبوية.

وبما أن الطعن في عدالة الصحابة وإخلاص نقلة الحديث عن الرسول ﷺ هو أشد المطاعن العقلية على السنة النبوية، ولأن العقلانيين كانوا أشد جرأة في ذلك منهم في غيره، آثرت أن أفرد له الحديث، وأتوسع فيها؛ لأهميته وخطورته العقائدية والأصولية على الإسلام والمسلمين في العصر الحاضر، وسيأتي هذا في الكلام عن السنة، إن شاء الله.

*** ومن أهم الآراء الخطيرة حول السنة للعقلانية الحديثة قولهم:**

* إنه لابد من إعادة النظر في طريقة المسلمين ومقاييسهم التي محصوا بها الأحاديث حتى حكموا بأن هذا صحيح، وذلك ضعيف أو موضوع، وقد فرضت العقلية الحديثة مقاييس جديدة على ضوء المقاييس المادية الجاهلية الغربية، التي لا تؤمن بالغيب ولا بالدين، ولا تسلم إلا بما تدركه من المحسوسات.

فقالوا: إنه لابد من عرض الأحاديث النبوية على العلم ـ أي العلم الغربي

الحديث ـ فكذبوا أحاديث صحيحة، بدعوىٰ أنها تخالف العلم، أو تخالف العقل، أي عقولهم هم.

من ذلك حديث التمرات الذي ورد في الصحيحين وغيرهما: عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**من اصطبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل**»[1]..

قال فيه محمد أحمد خلف الله: «فهذا الحديث لا يمكن أن يكون صحيحًا لأنه مخالف للعلم والواقع»[2].. وكذلك أحمد أمين زعم أن هذا الحديث غير صحيح، وأورده مثالاً علىٰ أن البخاري إنما يعني بجرح الرجال فحسب[3].. ولا يهتم بالمعنىٰ، وأنت ترىٰ أن هذا الحديث ثابت، فقد اتفق عليه البخاري ومسلم وغيرهما، فلا مجال للشك في صحته، لأن العلماء ـ علماء الحديث ـ فحصوه متنًا وسندًا ومعنىٰ، أما البخاري ـ كغيره من أئمة الحديث الأعلام ـ فهو من صيارفة الحديث متنًا ومعنىٰ.

ومن جانب آخر لم يثبت أن العلم والواقع يخالفان مضمون الحديث، والعكس هو الصحيح. ولو فرضنا أن العلم قال بما يخالف الحديث، فإن هذا سيكون من وجهة نظر الباحث نفسه بهذا الصدد؛ لأن العلم، علىٰ ألسنة المتخصصين قرر: أنه ليس هناك شيء اسمه الحكم النهائي القطعي في مجال العلوم، وهناك كلمة يرددها العلماء في معاملهم ومختبراتهم «العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة»، وما ذلك إلا لقصوره، خاصة الطب الذي هو موضوع هذا الحديث، فلماذا يفترون علىٰ العلم ويكذِّبون باسمه أحاديث الرسول ﷺ؟

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطب ـ باب الدواء بالعجوة للسحر، ومسلم، وأبو داود، راجع جامع الأصول جـ٧ ص٥٢٠.

(٢) راجع الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، مجموعة بحوث جمعها محمد أحمد خلف الله ص١٦٧ في مقالة للمذكور.

(٣) راجع فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين ص٢١٨.

ثم هل أثبت لنا هذا المدعي بالعلم والبرهان أن العلم والواقع يخالف ما جاء في الحديث، أو هو البهتان والافتراء والهوىٰ؟

وشيء آخر: أن الحديث من الممكن ـ لو فرضنا أنه خالف العلم من جانب ـ بأن يحمل علىٰ معنىٰ من جانب آخر، وأهم من ذلك أنهم لا يحددون ما هو العلم المقصود هنا، الذي يقرر الحقيقة النهائية، ولا يفقهون أن ما ثبت عن النبي ﷺ هو العلم، ولا يمكن أن يعارض المعلوم الحقيقي عن البشر.

وما ردده العقلانيون أيضًا بحجة مخالفة العلم من السنة الصحيحة حديث الذباب وهو قوله ﷺ: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم، فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء**»[1]..

قال عبدالوارث كبير مفتي مجلة العربي:

«أما حديث الذباب وما في جناحيه من داء وشفاء فحديث ضعيف، بل هو عقلا حديث مفترىٰ»[2]. كما رد أيضًا الطبيب محمد توفيق صدقي بدعوىٰ أنه ينافي الطب والعلم، وزعم أن الحديث مشكل، وتابعه محمد خليل هراس[3]..

فمقاييس العقلانية الحديثة تكذب أحاديث الرسول ﷺ لمجرد أنها لا ترىٰ صحتها هي في ذوقها؛ لأن قوله: حديث ضعيف، وعقلاً حديث مفترىٰ، كلامه غير منهجي ولا علمي؛ لأن الافتراء علىٰ الرسول ﷺ من قبل الصحابة وأعلام المسلمين الرواة وجمهورهم ليس بالأمر الهين، بل إنه يحبط عمل أمة

(١) هذا نص رواية البخاري في كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في الإناء ص١٨١ جزء ٧.

(٢) عن مجلة العربي الكويتية عدد (٨٢) لجمادىٰ الأولىٰ لعام ١٣٨٥هـ ـ سبتمبر أيلول ١٩٦٥م ص١٤٤ (باب أنت تسأل ونحن نجيب).

(٣) راجع سبل السلام شرح بلوغ المرام ـ للصنعاني ـ مراجعة محمد خليل هراس ـ الجزء الأول ص٣٥ ـ ٣٦. مع العلم أن الشيخ محمد خليل هراس ليس من هذا الصنف، بل هو من علماء السنة، وعقيدته سليمة في الجملة، لكنه زل في هذه المسألة، غفر الله لنا وله.

بأكملها، فالكاتب ومن هم على شاكلته من العقلانيين لا يستطيعون أن يثبتوا لنا أن العقل والعلم يكذبان هذا الحديث، ونقول لهم: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

مع العلم أن الحديث متفق عليه في البخاري ومسلم وغيرهما فهو ثابت.

وهو يعيد النغمة العلمانية التي يرددونها، وهي أنه عقلاً مفترى، فأي عقل يحكم بافترائه دون تثبت وتحقيق؟ لا سيما وأن الحديث معلل بتعليل علمي وهو بأن بأحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، وقد أثبت الطب الحديث ذلك فلا حجة بعده للعقلانيين إلا المكابرة وهي عادتهم..

لقد قرر علماء الطب منذ زمن ليس بالقريب أن الذباب اشتمل على جراثيم وميكروبات كما اشتمل على مضادات لها في نفس الوقت، وقد أصبح ذلك من البديهيات العلمية عند علماء الغرب وغيرهم، ومن العلماء الذين اكتشفوا هذا: العالمان الانجليزيان آرنشتين وكوك بين عامي ٤٧ ـ ١٩٥٠م، وكومس وفارمر ـ انجليزيان ـ وجرمان دروث والتنجر وبلاتنر من سويسرا عام ١٩٤٩م كما أثبت ذلك العالم موفتس عام ١٩٤٧م[١].

* والعقلانيون لا يكتفون بالطعن في أحاديث معينة، بل يطعنون في صحة ما جاء **في كتب السنة المعتمدة** لدى المسلمين **كالبخاري ومسلم**.. يقول أحمد زكي أبو شادي، طاعنًا في كتب الحديث المعتمدة عند المسلمين:

«وهذه سنن ابن ماجه والبخاري، بل وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل، ولا نرى نسبتها إلى الرسول الكريم صاحب أعظم شريعة عقلية إنسانية»[٢]..

(١) راجع (الرسول ﷺ) جـ١ للشيخ سعيد حوى ص٣٧ ـ ٤٠.

(٢) ثورة الإسلام لأحمد زكي أبو شادي ص٤٤.

وهكذا بهذه السهولة . . يريد أن يهدم نصف الإسلام، حين يرد السنة ويكذب البخاري وكتب الحديث بدعوىٰ أن العقل ـ عقله بالطبع ـ لا يقبل صحتها وهو لا يرىٰ نسبتها للرسول بهذه المقاييس المادية الجاهلية .

وإلىٰ مثل هذا يذهب إسماعيل بن أدهم كما أسلفت قبل قليل .

ونقول للعقلانيين:

أي عقل لا يقبل صحة البخاري وأحاديث الرسول ﷺ الثابتة . . أهو عقل الغربيين، أم عقل المرتابين من العقلانيين، أم عقل من استحوذ عليه الشيطان؟ لأن عقول الصحابة والسلف الصالح والمسلمين كلهم، قبلت ما جاء في البخاري وسائر الأحاديث الثابتة عن المعصوم ﷺ! وأرىٰ أنه أخطأ في وصفه الشريعة الإسلامية بأنها شريعة عقلية إنسانية بهذا الإطلاق؛ لأن الشريعة الإسلامية ربانية إلهية أولاً، ثم إنها توافق العقل السليم وتصلح الإنسانية ثانيًا .

وكذلك يقول محمود أبو رية مشككًا في صحة كثير من الأحاديث في كتب السنة :

«ولمّا وصلت من دراستي إلىٰ كتب الحديث المعتمدة لدىٰ الجمهور ألفيت فيها من الأحاديث ما يبعد أن يكون في ألفاظه أو معانيه أو أسلوبه من محكم قوله وبارع منطقه صلوات الله عليه، ومما راعني أني أجد في معاني كثير من الأحاديث ما لا يقبله عقل صريح، ولا يثبته علم صحيح، ولا يؤيده حس ظاهر، أو كتاب متواتر»[1] . .

ومن المعروف أن الكتب المعتمدة لدىٰ جمهور المسلمين منها البخاري ومسلم . فأبو رية يزعم أن فيها ما لا يقبله عقل صريح ولا يثبته علم صحيح، أو حسّ ظاهر، أو كتاب متواتر، بل يصدر حكمه الجائر هذا علىٰ معاني كثير من الأحاديث في كتب الحديث المعتمدة لدىٰ الجمهور، وقوله : «ما لا يقبله عقل

(١) أضواء علىٰ السنة المحمدية ص١٩ .

صريح»، يقال له: إن عقول المسلمين والعلماء الأعلام التي اعتمدت تلك الأحاديث عقول صحيحة وسليمة، وأمينة أيضًا.

وقوله: «ولا يثبته علم صحيح»، يقال له: ليس هناك علم أصح في التثبت في المتن والسند والمعنى من علوم المسلمين، وبالأخص علم الحديث، كما سأبينه بعد صفحات.

فليس هناك علم أصح من علوم المسلمين دراية ورواية ومنهجًا وتحقيقًا، لكن أبا رية وسائر العقلانيين، يريدون عرض الحديث النبوي على عقولهم وعلى عقول أساتذتهم، رواد العلم الجاهلي المادي الحديث، كالمستشرقين.

ويؤكد هذا حين يقول في كتب الحديث:

«على أننا لم نجد في أي من هذه الكتب ـ على ضخامتها وكثرتها ـ دراسة قيمة ولا نقدًا موضوعيًا يقوم على الأسلوب العلمي الحديث الذي يظهر حقًا، أو يصحح غلطًا، أو يعدل رأيًا»[1]. فالعلم الحديث عنده هو وحده الذي يظهر حقًا أو يصحح غلطًا أو يعدل رأيًا. أما علم المسلمين فلا. فهو يريد أن يمحِّص الحديث على الأسلوب العلمي الحديث الذي يقوم على الإلحاد والمادية، ومن المعروف أن ذلك الأسلوب الإلحادي المادي يرفض الوحي. وما هي الدراسة القيمة إذا لم تكن دراسات المسلمين وعلماء الحديث قيمة؟

ويقول عن جهده في كتابه: (أضواء على السنة المحمدية) الذي امتلأ بالطعون والشبهات حول الحديث النبوي:

«حتى تسنى لي أن أعثر على تلك المواد الغزيرة، التي مكنتني من أن أسوي منها هذا الكتاب الجامع، الذي يعتبر الأول في موضوعه، وأن أذيعه في الناس، حتى يكونوا على بينة من أمر الحديث المحمدي، **يدرسونه على نور العلم ويفهمونه بمنطق العقل**»[2].

---

(١) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية ص٢٩.

(٢) نفس المصدر السابق ص٢٦.

ونقول: إن المسلمين بحمد الله كانوا ولا يزالون على بينة من الحديث المحمدي، قبل أن يبحث المرتاب (أبو رية) فيخرج كتابه للناس، الذي يعتبر من أبعد البحوث عن نور العلم ومنطق العقل بحق. وما نقلته وما سيأتي من العبارات التي قالها أكبر برهان على ذلك.

فهو كما قال عن نفسه ـ ومن هم على شاكلته من العقلانيين ـ لا يقبل من الحديث إلا ما يوافق هواه إذ يقول:

«لمّا انكشف لي ذلك كله وغيره مما يحمله كتابنا، وبدت لي حياة الحديث المحمدي في صورة واضحة جلية، تتراءى في مرآة مصقولة، أصبحت على بينة من أمر ما نسب إلى الرسول ﷺ من أحاديث آخذ ما آخذ منها ونفسي راضية وأدعو ما أدعو وقلبي مطمئن ولا عليَّ في هذا أو ذلك أي حرج أو جناح[1]. فجعل نفسه وقلبه (هواه) هو الميزان. ومعلوم أن مثل هذا مريض القلب عليل النفس كما هو ظاهر من كلامه.

ويقول عن الأحاديث التي يستدل بها ويوردها في كتابه: «فإن منها ما يبدو عليه علائم الصحة، كأن يكون بيانًا للقرآن الكريم، أو متفقًا مع العقل السليم، أو جاء على مقتضى الأصول التي قام عليها الدين وإليها قامت الدعوة ولأجلها منحت النبوة، أو أتنور خلال معانيه شعاعًا من نور النبوة، ولو كان خافتًا ضئيلاً، وهذا أمر أحسه بوجداني فما كان من مثل ذلك مما يطمئن به القلب ويسلم به العقل، فأنا آخذ به وأرويه وأنا مطمئن، وأعتبره من بيان الرسول للكتاب العزيز، وإن كنت على ثقة بعد ذلك كله من أنه من أحاديث الآحاد»[2].

وكل تلك الطرق التي ذكرها، وجعل منها مقاييس للصحة، فقد عمل

(١) نفس المصدر السابق ص٢٥.

(٢) أضواء على السنة المحمدية ص٣٤.

المسلمون بهذه المقاييس التي ذكرها وهي من أصولهم، بل زادوا من المقاييس الاحتياطية ما لم يخطر على باله وما ذكر من الأصول، بل لا تساوي شيئًا بالنسبة لاحتياط علماء الحديث ودقتهم، وليست مقاييسه الوجدانية التي ذكرها هنا علمية ولا منهجية ولا موضوعية. . بينما وضع المسلمون منهجًا علميّاً دقيقًا تحقق به معرفة الحديث الصحيح من غيره، بحيث لا يمكن لأحد بعدهم، أن يصل إلى درجتهم العلمية تلك[1]. . نعم إن وجدان وقلب الشيخ أبي رية قد يقوده لغير الحق فأي علمية فيه؟ ووجدانه وقلبه وعقله تلك أمور تخصه، ولا يجوز له أن يجعلها مقياساً للمسلمين يقيسون بها سنة رسولهم ﷺ، فربما يكون وجدانه هويّاً، وعقله مختلاً، وقلبه كالكوز مجخيًا. فهذا أمر يحتمل علميّاً أيضًا! بل أرى أن الخلل واضح في عقل أبي رية وفطرته وقلبه ووجدانه، وكلامه شاهد عليه.

* كذلك نرى العقلانيين المحدثين يضيقون بكتب الحديث كل الضيق ويعتبرون الاهتمام بها من أسباب التخلُّف، بل ربما يتجرأ بعضهم على القول: بأنها لا تنسجم مع القرآن الكريم، يقول أحدهم: «**وأما التغني بأبي داود، والترمذي، والنسائي، ومسلم وترديد** الأحاديث الملفقة التي لا تنسجم وتعاليم القرآن. . فبمثابة الخيانة لرسالة الإسلام الخالدة»[2]. .

كذا بكل جرأة وصراحة: التغني بكتب السنة خيانة لرسالة الإسلام، مع أن تلك الكتب هي التي حملت لنا رسالة الإسلام، ولا تزال هي الكنز الثاني مع كتاب الله لدين الله، والعقيدة والشريعة الإسلامية.

*ومن الدعاوى التي تتمسك بها العقلية الحديثة في إسقاط حجية السنة النبوية قولهم: إن القرآن شامل لكل شيء، فلا نحتاج بعده إلى مزيد، وأن

(١) راجع السنة ومكانتها في التشريع لمصطفى السباعي ص٩٠ ـ ٩١، وتدريب الراوي ص٤٠، ٤١ جـ١ ومقاييس نقد السنة للدكتور مسفر الدميني.

(٢) ثورة الإسلام لأحمد زكي أبو شادي ص٢٥.

القرآن قطعي، والسنة ظنية، فلا يعدل من القطعي إلى الظني.

ويستدلون على ذلك بأن الرسول ﷺ أمر بألاّ يكتب إلا القرآن، وأن كبار الصحابة كانوا يقلون الرواية للحديث.

لكنهم ماذا يصنعون بقوله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾، وقوله تعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾، وقوله ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»، وقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي..**».

ويقول أبو رية **مهونًا من شأن السُّنَّة وحجيتها:**

«لو كانت أحاديث رسول الله كلها من الدين العام ـ كالقرآن ـ لا يقوم إلا عليها، ولا يؤخذ إلا منها، وأنه يجب على كل مسلم أن يعرفها ويتبع ما فيها، كما يتبع ما في القرآن، وكان النبي ﷺ قد أمر أصحابه أن يحفظوا هذه الأحاديث لكي تؤثر من بعده لكان أكثر الصحابة رواية لها أعلاهم درجة في الدين، وأثبتهم قدمًا في الإيمان، وأسناهم مرتبة في العلم»[1]..

«وهذا الأمر قد دعانا إلى أن نفرد ترجمة خاصة لمن كان أكثر الصحابة تحديثًا عن رسول الله، وأوسعهم رواية، على حين أنه كان من عامة الصحابة، وكان بينهم لا في العير ولا في النفير، ذلكم هو أبو هريرة»[2]، وقد كذب والله، فإن أبا هريرة رضي الله عنه في العير والنفير، حيث نذر نفسه لحفظ سنة رسول الله ﷺ، وقد دعا له النبي ﷺ بذلك رغم أنف أبي رية وأمثاله.

(١) أضواء على السنة المحمدية ص١٩٤.

(٢) نفس المصدر السابق ص١٩٥.

وسيأتي نقاش هذه الفرية على أبي هريرة، عند الكلام على الطعن في الصحابة، في آخر هذا الفصل، ويقول: «وكان عمر يقول: أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به، ولا غرابة في أن يفعل ذلك عمر.. لأنه كان لا يعتمد إلا على القرآن والسنة العملية»[١]..

والأمر خلاف ذلك.. فكان عمر وسائر الخلفاء الراشدين يعملون بالسنة العملية والقولية، فكانوا يعتمدون عليها مع القرآن الكريم، فقد أخذ عمر بحديث الطاعون، وحديث المجوس، وحديث الديات، وغيرها من الأحاديث القولية[٢]..

ويقول في قوله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتب ومثله معه**»[٣]: «وهذا الحديث من أغرب ما قذفته الرواية في سيلها! لأن النبي إذا كان قد أوتي مثل الكتاب أو مثل القرآن، فمعنى ذلك أنه قد أوتي ذلك ليكون تمامًا على القرآن، وإكمالاً له لبيان دينه وشريعته، وإذا كان الأمر كذلك فَلِمَ لَمْ يعن النبي بكتابة هذا المثل في حياته عندما تلقاه من ربه، كما عني بكتابة القرآن»[٤].. ثم يسرد شبهاته الكثيرة على هذا النمط، ويعترض على هذا الحديث الصحيح بعقله وهواه، دون أن يثبت لنا علميّاً عدم صحته، بل يبرهن على جهله وعدم فقهه لمعنى «ومثله معه» كما قال تعالى: ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ والحكمة هي السنة، والكتاب هو القرآن.

ويقول عن حكمة نهي الرسول ﷺ عن كتابة الحديث: «هو لكي لا تكثر أوامر التشريع ولا تتسع له أدلة الأحكام، وهو ما كان يتحاشاه ﷺ حتى كان يكره

(١) نفس المصدر السابق ص٥٥.

(٢) راجع السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسباعي ص٦٨، ٦٩.

(٣) وذلك في حديث رواه أبو داود في سننه حديث رقم: ٤٦٠٤، والترمذي بلفظ آخر يفيد هذا المعنى رقم ٢٦٦٤ في كتاب العلم، وأحمد في المسند جـ٤، ص١٣١، ١٣٢، وابن ماجه في المقدمة ـ باب تعظيم حديث رسول الله حديث رقم ١٢. (جامع الأصول جـ١ ص٢٨١).

(٤) أضواء على السنة المحمدية ص٥٢.

كثرة السؤال، أو يكون من أحاديث في أمور خاصة بوقتها، بحيث لا يصح الاستمرار في العمل بها»[١]..

وهكذا يريدون محاصرة السنة، وحصرها بدعوى التقليل من أوامر التشريع وهذا مما تهدف إليه العقلية الحديثة، أي أنها تنزع إلى التخفف والتملص من الأوامر والتكاليف الشرعية، وتحصر الدين في ضمير الفرد، أو تكاد.

ويريدون أيضًا محاصرة السنة بقولهم ـ تبعًا لأساتذتهم المستشرقين ـ بأن السنة جاءت في أمور خاصة بوقتها.

لكن نذكرهم ـ لعلهم يتذكرون ـ بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [٧: الحشر].

أما عن رواية السنة بالمعنى فإنهم يثيرون هذه الشبهة من ناحيتين:

الناحية الأولى: قولهم: بأن السنة لم تنقل كما نقل القرآن حرفيّاً، مما يسقط حجية السنة ويلحق الضرر بالدين ـ بزعمهم ـ.

يقول أبو رية في ذلك:

«ولقد كان لرواية الحديث بالمعنى ـ ولا جرم ـ ضرر كبير على الدين واللغة، والأدب، كما ستراه فيما بعد»[٢]..

ويقول: «وكان البخاري وهو شيخ رجال الحديث، وكتابه كما هو مشهور بين الجمهور أصح كتاب بعد كتاب الله ـ كما يقولون ـ يروي على المعنى»[٣]..

ويقول: «لما كانت أحاديث النبي ﷺ قد جاء نقلها بالمعنى ـ كما بينا من قبل ـ وأنهم قد أباحوا لرواتها أن يزيدوا فيها ويختصروا منها وأن يقدموا ويؤخروا في ألفاظها ـ بله ما سوغوه من قبول الملحون منها ـ كما كان الأمر قد جرى على

(١) أضواء على السنة المحمدية ـ لمحمود أبي رية ـ ص٥١.

(٢) المصدر السابق ص٢١.

(٣) نفس المصدر السابق ص٢١.

ذلك . . فقد نشأ من أثر ذلك كله ـ ولا جرم وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى ـ ضرر عظيم»[١] . .

ونقول :

أولاً: إن السنة ليست كلها رويت بالمعنى ، فإن منها أحاديث كثيرة في البخاري ومسلم رويت بالنص .

ثانيًا: أن ما روي من السنة إنما هو مروي عن الصحابة ، وهم أمناء على الدين والرسالة ، فإن حديثهم وإن كان قد يروى بالمعنى أحيانًا ، إلا أنه مروي بأمانة وتحرٍّ وفقه . . فلا يمكن أن يروي الصحابة حديث رسول الله ﷺ بما يحيل المعنى ، أو يصرفه عن مراد رسول الله لأنهم ـ أي الصحابة ـ يفقهون الدين والعربية ومعانيها ويطبقون ما يسمعون ، وعدالة الصحابة متفق عليها عند سائر من يعتد به من المسلمين . . لأنهم حملة الشريعة ونقلة السنة[٢] . .

ثالثًا: أن في كتب السنة الشيء الكثير من أحاديث السنة العملية التي نُقلت عن رسول الله ﷺ عمليّاً وطبقها المسلمون اقتداء برسول الله وطاعة لأمر الله . . وهذا مما لا يؤثر فيه الرواية بالمعنى .

رابعًا: زعم المؤلف أن رجال الحديث أجازوا في الرواية النقص والزيادة ، والتقديم والتأخير والملحون . . فهذا ليس صحيحًا على الإطلاق ، فإنهم لم يجيزوا ذلك إلا بشروط قاسية وشديدة ، واحترازات قوية يندفع بها الضرر[٣] . .

الناحية الثانية:

وهي التي ترتكز عليها كثير من شبهات العقلانيين والمستشرقين . . فهي

(١) المصدر السابق ص٩٧ .

(٢) راجع تدريب الراوي للسيوطي ص٢١٤ ، جزء ٢ .

(٣) راجع المصدر السابق ص٩٢ إلى ١١٠ جزء ٢ .

دعوىٰ أن علماء الحديث كان جل همِّهم في سند الحديث ورجاله، ولم تكن تهمهم صحة الحديث من ناحية المعنىٰ أو المتن، فقد يروون ما يعارض القرآن وما لا يعقل، وأن طريقتهم لذلك غير موضوعية ولا علمية، ومن ثم غير موثوقة وبهذا يُسقِطُون حجية السنة، وأكثر من تولىٰ كِبْرَ إثارة هذه الشبهة أبورية. وسبقه أحمد أمين في فجر الإسلام، قال في ذلك: «وقد وضع علماء الجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها، ولكنهم ـ والحق يقال ـ عنوا بالإسناد أكثر مما عنوا بالمتن فقبل أن تظفر بنقد من ناحية أن ما نسب إلىٰ النبي ﷺ لا يتفق والظروف التي قيلت فيه، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه، أو أن في عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف في تعبير النبي، أو أن الحديث أشبه في شروطه وقيوده بمتون الفقه، وهكذا، لم تظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم، وحتىٰ نرىٰ البخاري علىٰ جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية علىٰ أنها غير صحيحة لاقتصاره علىٰ نقد الرجال» . . وضرب لذلك أمثلة تبرهن علىٰ جهله . . لأن علماء الحديث افترضوا شبهاته هذه وردوها في كتبهم[1]. وذكرت نبذة من أقوال أبي رية، وسأذكرها بعد ذلك في مناسبات أخرىٰ[2]، من ذلك قوله ـ عن علماء السلف من رجال الحديث: بأنهم قصروا حين

اهتموا بالسند ولم يهتموا بالمعنىٰ هل هو معقول أو غير معقول ـ علىٰ حد زعمه ـ وأنه يجب علىٰ الأدباء أن يتعقبوا رجال الحديث في قوله: «فإن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس وتركوا لمن يسمون رجال الحديث يتداولونه فيما بينهم، ويدرسونه علىٰ طريقتهم وطريقة هذه الفئة التي اتخذتها لنفسها قامت علىٰ قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل، فنرىٰ المتقدمين منهم وهم الذين وضعوا هذه القواعد قد حصروا عنايتهم في معرفة رواد الحديث والبحث ـ

(١) أضواء علىٰ السنة ص١٧.

(٢) راجع فجر الإسلام ص٢١٧، ٢١٨.

على قدر الوسع ـ في تاريخهم، ولا عليهم بعد ذلك إن كان ما يصدر عن هؤلاء الرواة صحيحًا في نفسه أو غير صحيح، معقولاً أو غير معقول، ذلك بأنهم وقفوا بعلمهم عندما يتصل بالسند فحسب، أما المعنى فلا يعنيهم من أمره شيء».

*** ونقول لهؤلاء:**

أولاً: أمّا أن علماء الحديث اهتموا بالسند ورجاله.. فهذا حق، وهو من توفيق الله تعالى تحقيقًا لوعده بحفظ دينه.. فتصحيح السند ودراسة الرجال أدق طريقة علمية عرفها تاريخ العلوم الإنسانية، وهي أسلم طريقة علمية وموضوعية للتثبت والتحقيق العلمي، فاهتمام سلفنا بالسند برهان على موضوعيتهم وأمانتهم وعدالتهم، وصدقهم، وعبقريتهم العلمية.

ثانيًا: دعوى العقلانيين أن علماء الحديث بجانب اهتمامهم بالسند أهملوا المعنى، أو أنهم قصروا في تمحيص المعنى والمتن، وأنهم لذلك رووا ما يخالف القرآن، أو ما ينافي العقل.. فهذا كلام باطل وزعم لا يستند إلى دليل، والواقع يكذبه، وينافي العلمية والموضوعية التي يتشدق بها العقلانيون كل المنافاة.

فلم يكن اهتمام السلف عمومًا ورجال الحديث على الخصوص، بالسند فحسب، بل اهتموا ومحصوا لنا الحديث سندًا ومعنىً ومتنًا.

فكانوا ـ رحمهم الله ـ لا يقبلون الحديث الذي يخالف صريح القرآن، أو يخالف العقل السليم، أو يخالف أصلاً من أصول الدين، أو يخالف الحس والمشاهدة.. فقد جعلوا هذه الأشياء والقواعد من الموازين التي يوزن بها الحديث الصحيح من غيره، ومن علامات الوضع في الحديث.

كما أنهم تابعوا الوضع والوضاعين، والضعفاء، حتى طهروا أحاديث رسول الله ﷺ، من الأحاديث الموضوعة، والضعيفة، فأصبحت اليوم ـ بحمد

الله ـ تُعْرَفُ دون كبير عناء بفضل الله، ثم بفضل جهود علمائنا، واهتمامهم بالمتن والمعنى والسند للحديث. . وإليك طَرَفا من أقوال العلماء المتخصصين بهذا الصدد، لنذكِّر العقلانيين بطرف من جهود علمائنا بالمتن والمعنى:

قال الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: «وقد أكثر العلماء ـ رحمهم الله ـ من البيان للأحاديث الموضوعة، وهتكوا أستار الكذابين، ونفوا عن حديث رسول الله ﷺ انتحال المبطلين، وتحريف الضالين»[١]. .

«وهم ـ رحمهم الله ـ قسمان: قسم جعلوا مصنفاتهم مختصة بالرجال الكذابين والضعفاء وما هو أعم من ذلك»[٢]. . «وقسم جعلوا مصنفاتهم مختصة بالأحاديث الموضوعة»[٣]. .

والعقلانيون حين زعمو أن علماء الحديث تنقصهم العلمية والموضوعية وأنهم لم يهتموا بما يخالف العقل والحس والتجربة، إنما يبرهنون بذلك على جهلهم، فقد قال علماء الحديث: «بأن من جملة دلائل الوضع أن يكون مخالفًا للعقل بحيث لا يقبل التأويل، ويلتحق به ما يدفعه الحس والمشاهدة، أو يكون منافيًا لدلالة الكتاب القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي»[٤]. .

بل إن في قواعد الحديث وموازينه وضوابطه عند علمائنا السابقين، مما لا يتصوره العقلانيون اليوم كما رأيت. . وقالوا: «كل خبر أوهم باطلاً ولم يقبل التأويل فمكذوب»[٥]. .

---

(١) راجع الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن علي الشوكاني ص٣، ٤ ومقاييس نقد متون السنة للدكتور مسفر الدميني. .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) راجع تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ـ جزء ١ ص٢٧٦.

(٥) المصدر السابق جزء ١ ص٢٧٧.

«وقال السيوطي في تدريب الراوي:

«وقال ابن الجوزي: ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع»[١]..

وطبقوا هذه القواعد عمليّاً على الحديث حتى أصبح الآن من السهل جدّاً معرفة الحديث الصحيح من غيره بحمد الله.

فرجال الحديث ـ وعلماء الإسلام عمومًا ـ لم يستهينوا ـ كما تزعم العقلانية الحديثة ـ بموافقة الحديث للمنقول والمعقول والحس والمشاهدة، فقد صرحوا ـ كما قرأت ـ بأن من علامات الموضوع مخالفته لصحيح المنقول وصريح المعقول وللحس والمشاهدة، وراعوا ذلك بكل منهجية وموضوعية، لكن العقلانيين يجهلون ذلك أو يتجاهلونه.

يقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه: «**السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**»:

«لا يستطيع من يدرس موقف العلماء ـ منذ عصر الصحابة إلى أن تم تدوين السنة ـ من الوضع والوضاعين وجهودهم في سبيل السنة، وتمييز صحيحها من فاسدها، إلا أن يحكم بأن الجهد الذي بذلوه في ذلك لا مزيد عليه، وأن الطرق التي سلكوها هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا ـ رحمهم الله ـ هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال، وتتيه به على الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم»[٢].

---

(١) المصدر السابق جزء ١ ص٢٧٧.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي ص٩٠، وراجع السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب من ص٢٤٢ إلى ٢٤٨، والمنار المنيف في الصحيح والضعيف =

ثم ذكر العلامات التي جعلها علماؤنا الأعلام دلائل لوضع الحديث ذكر منها:

* تكذيب الحس للحديث.

* وركاكة اللفظ.

* وفساد المعنى.

*ومخالفته صريح القرآن.

* ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عصر النبي ﷺ.

* ووجود قرائن تشهد بعدم صحته... إلخ.

أفيكون بعد هذا (وهو غيض من فيض) من اعتراض للعقلانيين، إلا ما يبرهنون به على جهلهم بعلوم السنة والحديث، وقصورهم عن معرفة الجهود العلمية، والمنهجية، والموضوعية التي بذلها إسلامنا في خدمة السنة، بل وتحاملهم وبهتانهم (العقلانيين) لأهل الحق؟

ويقف العقلانيون عند الأحاديث التي رويت بطرق وألفاظ مختلفة ليخلصوا منها ـ بزعمهم ـ بأن السنة مشكوك في صحة نقلها، وأن ضبط الصحابة لا يعتمد علية، وأن هناك من يزيد على الرسول ﷺ في حديثه.

وضربوا لذلك مثلاً بحديث التشهد في الصلاة، فقد ورد بعدة طرق وألفاظ مختلفة عن أكثر من صحابي، وأن كل صحابي من الذين رووا التشهد يزعم أن الرسول لقَّنه تشهده هذا.. يقول أبو رية:

«هذه تشهدات تسعة وردت عن الصحابة، وقد اختلفت ألفاظها، ولو أنها كانت من الأحاديث القولية التي وردت بالمعنى لقلنا عسى! ولكنها من الأعمال

= لابن القيم ـ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ص٥١، ٨٠، ١٠٢، وراجع مجلة كلية أصول الدين ـ بالرياض ـ ص١٣٧ إلى ١٥٧، مقالة للشيخ الدكتور محمود الطحان بعنوان: عناية المحدثين بمتن الحديث كعنايتهم بإسناده والرد على شبهات المستشرقين وأتباعهم.

المتواترة التي كان يؤديها كل صحابي مرات كثيرة كل يوم، وهم يعدون بعشرات الألوف، ومما يلفت النظر أن كل صاحب تشهد يقول: إن الرسول كان يعلمه التشهد كما يعلمه القرآن»[١]..

ثم يقول: «ومما يلفت النظر كذلك أن هذه التشهدات على تباين ألفاظها، وتعدد صيغها، وكثرة رواتها، قد خلت كلها من الصلاة على النبي، فكأن الصحابة كانوا ـ كما قال إبراهيم النخعي ـ يكتفون بالتشهد والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله»[٢].

وهكذا يدخلون الشبه بما يوهم التناقض ويبرهنون على جهلهم المركب، لكن نقول لهم: إن أحاديث التشهد الصحيحة برواياتها وألفاظها وطرقها المختلفة، كلها ثابتة عن الرسول ﷺ، وقال العلماء[٣].. بأن كل منها صحيح تجوز الصلاة به، لأنها ألفاظ متعددة كلها صحيحة واردة عن المعصوم ﷺ وهذا دليل على يسر الدين وسعته، وتعدد الألفاظ يحمل معاني متعددة عظيمة مفيدة للناس.

فإن كان كل صاحب تشهد من الصحابة، قال بأن الرسول ﷺ علمه إياه، فكلهم صادقون، وليس في هذا ما يلفت النظر كما ادعى المؤلف، لأنه ليس هناك ما يمنع تعليم الرسول ﷺ كل واحد من هؤلاء بصيغة غير الصيغة الأخرى، لا عقلاً، ولا شرعًا.

فهذه التشهدات من باب الدعاء، ولا يتعلق بها اختلاف في الحلال والحرام، فجائز أن يكون الرسول ﷺ لقنها الصحابة بكل تلك الألفاظ التي صحت في كتب السنة.. فلا داعي لهذه الجعجعة.

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص٨٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع المغني لابن قدامة ـ المجلد الأول ص٥٣٦.

كما أنهم بناء على ذلك لا يتورعون عن تكذيب أحاديث رويت صحيحة وثابتة وقد تكون متواترة عن المعصوم ﷺ:

من ذلك حديث: «**من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار**»[١] وهذه رواية مسلم.

فقد طعن أبورية في قوله (متعمدًا) وزعم أنها مكذوبة على الرسول ﷺ، فقال: «ولما قرأت حديث «**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» غمرني الدهش لهذا القيد الذي لا يمكن أن يصدر من رسول جاء بالصدق وأمر به ونهى عن الكذب وحذر منه[٢]..».

وقال في موضع آخر رد فيه الحديث: «هذا ما رأينا إيراده من الأدلة على أن حديث الرسول «**من كذب عليَّ**»، لم يكن فيه كلمة «**متعمدًا**»[٣].

ثم قال: «وإن العقل السليم والخلق الكريم.. لينفران من قبول رواية (متعمدًا).. لأن الكذب هو أبو الرذائل كلها، سواء أكان عن عمد، أم غير عمد»[٤]..

مع العلم أن رواية (متعمدًا) جاءت بطرق صحيحة عن أكثر من صحابي، وأخرجها كل من البخاري ومسلم وغيرهما[٥]..

وقد رواها من الصحابة كل من: عبدالله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام،

---

(١) الحديث متفق عليه عند البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، وهذه رواية مسلم في المقدمة حديث رقم ٣.

(٢) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية ص١٩.

(٣) المصدر السابق ص٦٥.

(٤) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية ص٦٥.

(٥) راجع البخاري في كتاب العلم ـ باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ومسلم في المقدمة حديث ٣.

ورواها أبو هريرة، والمغيرة بن شعبة، وأنس بن مالك[١]. . وهؤلاء كلهم يستحيل تواطؤهم على الكذب، وهم عدول صادقون بإجماع المسلمين[٢]. .

وعلى **هذا فقوله بأن العقل السليم**، والخلق الكريم، ينفران من رواية (متعمداً) تعسف ورد صريح لماجاء به الرسول ﷺ، بل العكس هو الصحيح فإن عبارة (متعمداً) تستقيم مع قواعد الشرع ونصوصه كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ [٢٨٦ : البقرة].

وقوله: لا يمكن يصدر من رسول جاء بالصدق، يلزمه أن يثبت ذلك شرعًا، وإلا فليتحمل الوعيد الذي في الحديث. . نسأل الله العافية!

وعلى أي حال. . فإن هذا الحديث بلفظه (متعمداً) من الأحاديث المتواترة لفظًا ومعنى عن أكثر من ستين صحابيًا[٣]. . فهو ثابت قطعي الدلالة، ومعروف الحكم في إنكار المتواتر عند علماء الإسلام، وأنت ترى في مثل هذا الموقف مدى التزام العقلانيين للعلمية، والموضوعية التي يزعمونها!. . فأي علمية وموضوعية في إنكار مثل هذا الحديث المتواتر القطعي الثبوت؟!

ومثله حديث الإسراء والمعراج الذي ذكر فيه أن النبي ﷺ حين فرضت عليه الصلاة راجع ربه في عددها **ومنه:**

قوله ﷺ: «**ففرضت عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك...**» الحديث إلى قوله: «**فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إنهن خمس**

(١) راجع جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط جـ١٠ ص٦١٠، ٦١١.

(٢) راجع السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي ص٢٦١.

(٣) راجع تدريب الراوي ص١٧٧ جـ٢.

صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر.. فذلك خمسون صلاة»[1] . . . إلخ الحديث.

وقد قدح أبورية في هذا الحديث مع أنه ثابت صحيح عن رسول الله ﷺ، ورده واعتبره من الإسرائيليات بمجرد اعتراضات عقلية اصطنعها من نفسه، مع أن الأمة أخذت هذا الحديث بالقبول والصحة حيث قد ثبت في البخاري، ومسلم، وسائر السنن والمسانيد.

فيقول فيه أبو رية بتهكم وسخرية من الحديث:

«وفي حديث المعراج أنه لما فرض الله خمسين صلاة على العباد في النهار وفي الليل لم يستطع أحد من الرسل جميعاً ـ غير موسى ـ أن يفقه استحالة أدائها على البشر، فهو وحده الذي فطن لذلك وحمل محمداً ﷺ على أن يراجع ربه عشر مرات في حديث، وخمس مرات في حديث ثان، وبضع مرات في حديث ثالث. . وفيها كلها أنه صلوات الله عليه كلما نزل بعدد منها من عند الله أعاده موسى إلى ربه لينقصها حتى رجعت إلى خمس صلوات، وكأن الله سبحانه وتعالى لمَّا فرض الصلاة على المسلمين، كان لا يعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وكذلك لا يعلم محمد الذي اصطفاه للرسالة العامة إلى الناس كافة ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ لا يعلم إن كان من أرسل إليهم يستطيعون احتمال هذه العبادة أو لا يستطيعون حتى بصره موسى! . . وهكذا ترى الإسرائيليات تنفذ إلى ديننا وترى في معتقداتنا، فتعمل عملها، ولا تجد أحداً إلا قليلاً يزيفها[2] . . أو يردها، بل نرى ـ وا أسفاه ـ من يصدقها ويعتقدها من حشوية آخر الزمان».

وعلى أي حال فقد ثبت أن الحديث صحيح علمياً عند علماء الحديث

---

(١) هذا جزء من رواية مسلم في كتاب «الإيمان» باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم (٢٥٩) من أحاديث كتاب الإيمان.

(٢) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية ص١٦٢.

وغيرهم، من سائر المسلمين، وترديد الرسول ﷺ بين ربه وموسى لحكمة قد نعلم بعضها، وقد لا نعلم، مثلها مثل: خلق السماء والأرض في ستة أيام، ومثل فرض الظهر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والفجر ركعتين.

وإن كان الله فضل موسى على سائر الأنبياء بخصلة من الخصال، لا تقوم شبهة تثير السخرية، كما فعل أبو رية. فإن عيسى ـ عليه السلام ـ يحيي الموتى ـ بإذن الله، ويوسف علم تأويل الأحلام، وسليمان علم منطق الطير دون سائر الأنبياء، ومحمد ﷺ أفضل الأنبياء، ومع ذلك لا يعلم الغيب إلابتعليم الله له ما شاء منه.. لكن العقلانيين لا يفقهون.

بل إن أبا رية يزعم أن ما جعله المسلمون صحيحًا من أحاديث الرسول ﷺ.. إنما هو صحيح من وجهة نظرهم.. لا أنه صحيح في ذاته، أي أن تصحيح المسلمين لحديث ما لايدل على صحته في واقع الأمر حتى يأتي الشيخ أبو رية ويبحثه على الطريقة العلمية الحديثة، وما يطمئن له ضميره كما قال من قبل.

فيقول: (يصف جهده في تحقيق صحة السنة والحديث):

«حتى انتهيت إلى حقائق عجيبة، ونتائج خطيرة! ذلك أني وجدت أنه لايكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما سموه صحيحًا، أو ماجعلوه حسنًا ـ حديث ـ فقد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه، كمانطق الرسول به، ووجدت أن الصحيح منه على اصطلاحهم إن هو إلا معان مما فهمه بعض الرواة! وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها في بعض الأحاديث القصيرة، وذلك في الفلتة والندرة، وتبين لي أن ما يسمونه في اصطلاحهم حديثًا صحيحًا إنما كانت صحته في نظر رواته، لا أنه صحيح في ذاته، وأن ما يقال عنه متفق عليه، ليس المراد أنه متفق على صحته في نفس الأمر، وإنما المراد أن البخاري ومسلم قد اتفقا على إخراجه، وليس من شروط الحديث الصحيح أن يكون

مقطوعًا به في نفس الأمر لجواز الخطأ والنسيان والسهو على الثقة، ومن أجل ذلك جاءت الأحاديث وليس عليها ضياء بلاغته صلوات الله عليه إلا نور خافت أو شعاع ضئيل[١]..». وهكذا يريد بزعمه أن ينسف جهود خيار الأمة بهذه المزاعم الباردة.

وهكذا نجدهم حريصين كل الحرص على أن يطفئوا نور الله بأفواههم، لكن الله سيتم نوره، ولو كره العقلانيون.

ففي هذا المقطع القصير أراد الكاتب أن يمحو السنة كلها لمجرد أنه لا يرى أن ما ثبت عن العدول الثقاة، وسماه المسلمون صحيحًا يكون صحيحًا في واقع الأمر حتى يصححه.

وهذا مبدأ يقوم دينه ومذهبه على الهوى ومرض القلب.. لأن المسلمين اتفقوا على صحة ما صححه علماء الحديث، وعلى صحة ما رواه البخاري ومسلم على وجه العموم[٢].. فتلك سبيل المؤمنين لأنهم كانوا يحتاطون لدينهم، وتهمهم صحة الحديث من كل جانب، وكان نظرهم وهواهم تبعًا لما جاء عن الله ورسوله.

وهذا أمر تقتضيه ضرورة الدين.. لأننا إذا **اعتبرنا ما صححه المسلمون غير صحيح** في واقع الأمر، **هدمنا كل السنة**، وبهذا يهدم الإسلام نفسه، ثم إن المؤلف لم يستند إلى دليل موضوعي وعلمي في مزاعمه، إلا اتباع هواه، وكان هواه تبعًا لما جاء به المستشرقون والعقلانيون.

وقد أكثرت الاستدلال من كتاب أبي رية (أضواء على السنة المحمدية).. لأنه بحق يعتبر عصارة آراء العقلانيين المحدثين وأساتذتهم المستشرقين، كما أن العقلانيين أنفسهم يعتبرونه كتابهم وقد تأثر به كثيرون، فقد أثنى عليه الدكتور طه

(١) المصدر السابق ص٢٠.

(٢) راجع تدريب الراوي ص٩١، ص١٣١.

حسين في مقدمته له[١] وقال: «وموضوع الكتاب خطير حقّاً وقيم حقّاً، لا يقف الناس عنده في هذه الأيام، وإنما يشفقون منه أشد الإشفاق يخافون أن تزل أقلامهم، أو يثيرون سخط المحافظين الذين قرروا أن هذا النحو من العلم قد أصبح شيئًا مقدسًا أو كالمقدس لا ينبغي التعرض له إلا بالنقل والاستشهاد»[٢]..

ويقول: «الموضوع إذن خطير قيم وهو نقد ما وصل إلينا من الحديث الذي يحمل عن النبي ﷺ وتمييز الصحيح من غيره ليطمئن المسلمون إلى ما يروى لهم عن رسول الله»[٣]..

وكأني بالعقلانيين ـ وعلى رأسهم الدكتور طه ـ لم يعلموا حتى الآن بأن المسلمين ـ بحمد الله ـ قد اطمأنوا منذ قرون لحديث رسول الله ﷺ، وعرفوا الصحيح من غيره مسبقًا.. أما العقلانيون وأهل الأهواء والذين في قلوبهم مرض أنفسهم فلن يطمئنوا ـ فيما يبدو من أقوالهم تلك ـ حتى يروا السنة قد اندثرت وزالت معالمها، وسيموتون بغيظهم لأنه تعالى قد تكفل بحفظ دينه إلى يوم القيامة.

ومن أخف العقلانيين المحدثين تهوراً في **نظرته إلى السنة الشيخ محمود شلتوت**، ومع ذلك **يرى أن العقيدة لا تثبت إلا بالقرآن**، أما السنة فلا. فيقول:

«والمسلمون الذي يعتقدون بأن مصدر العقيدة في الشئون الغيبية هو القرآن وحده ـ وهو الحق الذي نؤمن به ـ يقفون في الإيمان بالملائكة عند الحق الذي أخبر به القرآن»[٤]..

---

(١) انظر كلمة الدكتور طه حسين في أول كتاب أضواء على السنة بعنوان «أضواء على السنة المحمدية جهد وعبء ثقيل لا يقوم به في هذه الأيام إلا القليلون».

(٢) أضواء على السنة المحمدية.

(٣) المصدر السابق.

(٤) راجع الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت ص٣٠.

«وتطبيقًا للمبادئ التي ذكرناها يتبين لنا: أن الطريق الوحيد لثبوت العقائد هو القرآن الكريم، وذلك فيما كان من آياته قطعي الدلالة..»[١].

وهو بهذا يعرض عن المتواتر والصحيح من السنة والإجماع، وهما مصدران من مصادر العقيدة؛ لأن المتواتر في السنة قطعي الدلالة.

وقد تواتر في السنة أشياء لم ترد في القرآن مثل: حديث الشفاعة وهي من العقيدة، وأحاديث الرؤية.

وحديث الكذب على رسول الله ﷺ، فقد رواه بضع وسبعون صحابيّاً[٢]، وحديث الحوض[٣]، ومنكر ونكير[٤]، وغيرها من الشئون الغيبية (على حد تعبير الشيخ شلتوت).

ومن الشبه التي تثيرها العقلية الحديثة حول السنة قولهم: «بأنه لا تمكن الثقة بأحاديث لم تكتب إلا بعد الرسول ﷺ بمائة سنة أو أكثر، وبعد أن فشت الدعايات السياسية وغير السياسية، لذلك دعا بعضهم إلى تمحيص كتب السلف على الطريقة العلمية (الجاهلية) الحديثة للاطمئنان على صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ كما ذكر أبو رية فيما سقته عنه من قبل.

ومن ذلك ما قاله **الدكتور هيكل في** «حياة محمد» حين قال:

«**وسبب آخر يوجب** تمحيص ما ورد في كتب السلف ونقده نقدًا دقيقًا على الطريقة العلمية: أنَّ أَقْدَمَها كُتب بعد وفاة النبي بمائة سنة أو أكثر، وبعد أن فشت في الدولة الإسلامية دعايات سياسية وغير سياسية كان اختلاقُ الروايات والأحاديث بعضَ وسائلها إلى الشيوع والغلب، فما بالك بالمتأخر مما كتب في أشد أزمان التقلقل والاضطراب»[٥].

---

(١) المصدر السابق ص٥٧.

(٢) عن تيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان ص١٩، ٢٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تدريب الراوي جـ٢، ص١٨٠.

(٥) حياة محمد ص٤٩.

وقصد بهذا التشكيك في صحة البخاري ومسلم والسنن، لأنها دونت متأخرة من القرن الأول، يؤكد هذا قوله عن البخاري، وأبي داود، وغيرهما من أهل الصحاح والسنن.

«وكثير من هذه الأحاديث التي صحت عندهم كانت موضع نقد وتمحيص عند غيرهم من العلماء انتهى بهم إلى نفي الكثير منها».

وأنت تدرك خطورة هذا الاتجاه حين تتأمل قوله بأن كثير من الأحاديث التي صحت عندهم كانت موضع نقد عند غيرهم، وقوله: (نفي الكثير منها) وهذا يعني أن الكثير مما في البخاري ومسلم والسنن منفي ومرفوض، وهذا خلاف الواقع، فإن أهل الحديث والمسلمين كلهم متفقون على أن ما في البخاري ومسلم والكثير جدا مما في السنن صحيح على العموم، وما اتفقا[1] عليه يحصل به العلم القطعي[2].

وبهذا تسقط دعوى العلمية لأول وهلة، لأنه افترى على علماء المسلمين وزعم أنهم نفوا الكثير من كتب السنة الصحيحة، دون أن يثبت ذلك علميا.

ومن المعروف أن هذا هو أسلوب العقلية الحديثة ومنهجها، تريد أن تصد عن الحق وتبطله بعبارات طائشة طافحة مالها من قرار علمي ولا منهجي وتفعل ذلك بدعوى المنهجية والعلمية! لا سيما وأن الأمر يتعلق بأصل من أصول الدين، ومصدر من مصادره، أي السنة النبوية، التي تستلزمها شهادة أن محمداً رسول الله من الركن الأول من أركان الإسلام.

أما أحاديث الآحاد، فإن الاتجاهات العقلانية الحديثة على مذهب أسلافها المعتزلة وأهل الكلام، فإنها إذا كانت ترد المتواتر كما أسلفت فكيف بالآحاد؟

---

(١) أي البخاري والمسلم.

(٢) راجع تدريب الراوي للسيوطي ص١٣١.

فهم يرون أن حديث الآحاد لا يفيد العلم ولا اليقين وإن صح سنده، وكذلك لا تثبت به عقيدة عندهم، ولذلك رد أكثرهم أموراً كثيرة من أمور العقيدة.

وقد تزعم هذا الاتجاه العقلاني محمد عبده، ومحمود شلتوت، وأحمد أمين، ومحمد الغزالي، ومحمد عمارة.

ومن أخطر التوجهات الجديدة للعقلانية تشكيكهم بالضوابط والأصول التي اعتمدها أئمة الإسلام للجرح والتعديل والتصحيح والتضعيف، ومناهج المحدثين في دراسة الأسانيد والمتون تلكم المقاييس العلمية والشرعية التي حفظ الله بها الدين والسنة، ثم دعوة هؤلاء المعتزلة الجدد إلى وضع ضوابط عقلانية جديدة للتمييز بين الصحيح والضعيف.. وما علموا أنهم بذلك حكموا على الأمة بأنها أجمعت على ضلالة وخطأ، وأنها لم تكن على الحق والسنة والدين المطلوب منذ القرن الأول إلى يومنا هذا.

ومن أبرز من ينزعون إلى هذا المنهج الهدّام: الدكتور حسن الترابي، ومحمد الغزالي، ومحمود أبو ريَّة، وأحمد أمين، والدكتور البطيري إسماعيل منصور.

ثانيًا: الصحابة وعدالتهم، (والتابعون والسلف الصالح):

وحيث إن القدح في الصحابة وعدالتهم، وسبهم، وفي التابعين والسلف الصالح، وأهل السنة أهل الحديث، يعد طعنًا في السنة[1]، لأنهم هم الذين نقلوها لنا عن رسول الله ﷺ، ثم دونوها، ودرسوها، ومحَّصوها، وبذلوا جهوداً جبارة، حتى أوصلوها لنا نقية صافية، نعرف صحيحها ونطمئن إليه، ونعرف ما دون ذلك بكل وضوح بأسلوب علمي شرعي تحقَّق به قوله تعالى: ﴿**إنا أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾، فهم الذين حفظوا لنا الحديث بإسناده، والإسناد من

(١) راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية ص١٠٢ جـ٤.

الدين[١] وهم الأئمة العدول الذين قال عنهم النبي ﷺ: «**يحمل هذا الدين من كل خلف عُدُولُهُ**»[٢]. لذلك أفردت لهذا الموضوع بحثًا تابعًا لبحث السنة.

إن المدرسة العقلية الحديثة حين تناولت حياة الصحابة وسلوكهم أفرادًا وجماعات، فإنها لم ترقب فيهم ذمة ولا وعهدًا، وكذلك التابعين، والسلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، والمجتمع الإسلامي في القرون الثلاثة الأولىٰ الفاضلة بالأخص، الذين هم حملة الدين، وحماة الإسلام.

فقد أعملت الألسنة السليطة، والأقلام الحاقدة، وخاضت في الأعراض بشراسة وضراوة كماسنرىٰ، وكانوا في قدحهم في سلف الأمة بين الجاهل والمتحامل وصاحب الهوىٰ.

وأرىٰ ـ قبل أن أتناول هذا الموضوع بالتفصيل ـ أن أعرض لحق الصحابة وسلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ كما هو في الكتاب والسنة ـ كما يجب علىٰ المسلم أن يعتقده نحوهم، وحقهم علىٰ المسلمين، بل علىٰ كل مسلم.

قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ في العقيدة السلفية:

(ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بالخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

وقال شارح الطحاوية ـ رحمه الله ـ:

«وقد أثنىٰ الله علىٰ الصحابة هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [١٠٠: التوبة].

---

(١) راجع مقدمة صحيح مسلم باب: الإسناد من الدين جـ١، ص١٤.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ ١٠/ ٢٠٩، وابن عدي في الكامل ١/ ١٥٣.

وقال تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [٢٩: الفتح] إلىٰ أن قال:

وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٨، ٩، ١٠: الحشر].

وساق أدلة كثيرة في ذلك[1].. وقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي» الحديث.

وحيث إن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هم رواة السنة النبوية، وهم الذين حصلوا الدين وتحملوا نقله وتبليغه عن رسول الله ﷺ إلىٰ الأجيال التي تلت من المسلمين، وكان من الصعب علىٰ بعض العقلانيين الطعن في السنة النبوية مباشرة لِقداستها، بين المسلمين، فقد ركَّزوا علىٰ القدح في الصحابة أنفسهم، وبالأخص رواة الحديث للتشكيك في إسناد الحديث النبوي أو في متونه أو هما معًا.. إضافة إلىٰ المآرب الأخرىٰ الكثيرة التي تتحقق في اتهامهم للصحابة كما نرىٰ.

وبما أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ هو أكثر الصحابة رواية للحديث، فقد تعرض للتجريح والسب من قبل العقلانيين أكثر من غيره، كما كان تعرض له

(١) راجع شرح الطحاوية ص٤١٤ إلىٰ ٤١٩ بتحقيق أحمد شاكر.

أسلافهم أهل البدع والافتراق والأهواء من الجهمية والرافضة ومن سلك سبيلهم.

فقيل عنه في كثرة روايته: إنه لا يُعقل أن يروي كل هذه الأحاديث التي رويت عنه من الرسول ﷺ، مع أن إسلامه متأخر.. أي قبل وفاة الرسول ﷺ بثلاث سنوات.. فلا بد أن يكون زاد من عنده أكثرها، وربما يكون استباح الكذب للمصلحة[١]..

وأن أحاديثه غريبة مفرطة في الغرابة، ويضربون مثلاً بحديث إدبار الشيطان عند الأذان..[٢] وغيره.

وأنه لم يسلم ولم يلازم رسول الله ﷺ إلا لملئ بطنه، فلم يكن ـ بزعمهم ـ همه حب الرسول ﷺ، ولا حب الإسلام، وأنه كان يوالي من يشبع بطنه كعبدالله ابن جعفر ـ رضي الله عنه ـ[٣].

وأنه كان تافهًا في عامة الصحابة، وكان بينهم لا في العير ولا في النفير على حد تعبير أحدهم..[٤]

هذا نموذج في قدحهم في نقلة الدين من الصحابة رضي الله عنهم، وقَلَّ من الصحابة، رواة الحديث أو غيرهم، من لم تتناوله العقلية الحديثة بقدح، جملة أو تفصيلاً.

---

(١) راجع (هذا هو الإسلام) ـ فاروق الدملوجي ـ ص٢٨، ٢٩، وراجع أضواء على السنة لأبي رية ص١٨٣، ١٩٤، ١٩٥.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) راجع أضواء على السنة ص١٩٧.

(٤) راجع أضواء على السنة ص١٩٥.

فهذا **فاروق الدملوجي** يرىٰ أن رجوع الناس في عبد المتوكل إلىٰ السنة نكبة لأنهم رجعوا إلىٰ ما قاله أبو هريرة، وابن عباس[١] ـ رضي الله عنهما ـ.

وتميم الداري رضي الله عنه: يتهمه محمود أبو رية بأنه وضع أحاديث الجساسة والدجال ونزول عيسىٰ[٢].

فيقول: «مما بثه تميم الداري من مسيحياته، ما ذكره عن النبي ﷺ من قصة الجساسة ونزول عيسىٰ»[٣].

مع العلم أن الرسول ﷺ أقر تميمًا علىٰ ما ذكره من حديث الدجال والجساسة، فيكون منسوبًا إلىٰ الرسول ﷺ، وبرواية صحابة آخرين غير تميم، فقد روته فاطمة بنت قيس، وجابر بن عبدالله، والنواس بن سمعان، وأبو سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين[٤]، بأحاديث متفق عليها في البخاري ومسلم وغيرهما.

وكذلك نزول عيسىٰ عليه السلام، ورد في أحاديث صحيحة في البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة وجابر[٥] ـ رضي الله عنهما ـ وحديث جابر في مسلم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»**[٦].

---

(١) راجع هذا هو الإسلام للدملوجي ص٥٥.

(٢) راجع أضواء علىٰ السنة المحمدية للشيخ (محمود أبي رية) ص١٨٢ ـ ١٨٣.

(٣) المصدر السابق ص٨٢.

(٤) راجع جامع الأصول لابن الأثير الجزري ص٣٣٢ إلىٰ ٣٦١ المجلد العاشر.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) صحيح مسلم «كتاب الإيمان» باب نزول عيسىٰ حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ ـ حديث (١٥٦).

إذن، فلا يتحمل تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ تبعة ثبوت نزول عيسى كما يزعم هذا الجاهل، فقد رويت عن غيره من الصحابة، وما دامت ثبتت في البخاري، ومسلم، والسنن، وصحت عند جمهور المسلمين، فلا اعتبار لكلام أبي رية وطعنه في صحابة رسول الله مع أنه يزعم ذلك دون دليل، وتلك عادة العقلية الحديثة.

وقد تولى **الدكتور طه حسين** كِبْرَ الخوض في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من جوانب عديدة:

فهو تارة يتهمهم بأنهم، حين طال عليهم الزمن بعد الرسول ﷺ فسدت بينهم الأمور وقاتل بعضهم بعضًا، وساءت بينهم الظنون، وهو يبدأ بالعشرة المبشرين بالجنة حين يقول:

«ولكن مع ذلك ألاحظ أن جماعة من أصحاب النبي قد حسن بلاؤهم في الإسلام حتى رضي النبي عنهم وبشرهم بالجنة، أوضمنها لهم، ثم طال عليهم الزمن واستقبلوا الأحداث والخطوب، وامتحنوا بالسلطان الضخم العظيم، وبالثراء الواسع العريض، ففسدت بينهم الأمور، وقاتل بعضهم بعضًا إلى أبعد ما يمكن أن يسوء ظن الناس بالناس، فما عسى أن يكون موقفنا نحن من هؤلاء؟ لا نستطيع أن نرضى عن أعمالهم جميعًا، فلا نلغي عقولنا وحدها، وإنما نلغي معها أصول الدين التي تأمر بالعدل والإحسان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي»[1].

وفي أسلوبه هذا مبالغة وبهتان وتحامل وسوء أدب مع أناس زكاهم الله تعالى، ورضي عنهم الله ورسوله.

ومع أن شهادة الرسول ﷺ ثابتة بالسنة الصحيحة، وباتفاق أهل السنة[2]

(١) إسلاميات طه حسين ـ الفتنة الكبرى، (عثمان) ص٦٨٩ ـ ٦٩٠ الطبعة الأولى.

(٢) يراجع شرح الطحاوية ص٤٣٥.

للعشرة المبشرين بالجنة ـ رضي الله عنهم ـ لكنا نجد الدكتور طه يعبر عن ذلك بأسلوب المشكك الساخر حين يزعم أن الناس هم الذين يرون أن الرسول ﷺ شهد لهم بالجنة . . فيقول :

«العشرة الذين كان الناس يرون أن رسول الله ـ ﷺ ـ قد ضمن لهم الجنة» . .[١] (وسيأتي حديث العشرة المبشرين بالجنة) .

وتارة نجده يقسم مجتمع الصحابة إلى فئات : طبقة ذات امتيازات خاصة (مادية نفعية ، ودينية مصطنعة) ، كأنه يصور للقارئ مجتمعًا رأسماليًا متناقضًا فيقول :

(هذا الصحابي الذي هاجر الهجرتين وشهد المشاهد مع النبي ثم أقام بعد ذلك في المدينة له استقراطيته الدينية ، وهذا القرشي أو العربي الذي أسلم بأخرة ، ثم أبلى في الفتح بلاء حسنًا ، وامتاز بين الفاتحين له استقراطيته الدنيوية ، وهذا الصحابي الذي سبق إلى الإسلام وهاجر لله ورسوله وشهد المشاهد مع النبي وامتاز بعد ذلك في الفتح ، له استقراطية الدين والدنيا جميعًا»[٢] .

وهكذا نجده يصنف الجماعة الإسلامية الأولى ـ التي زكاها الله تعالى ـ تصنيفًا طبقيا ، وكأن الصحابة ـ على وصفه هذا ـ اتخذوا الإسلام مطية لاقتسام الحظوظ من الدنيا ولتَسَنّم درجات الأرستقراطيات . ثم يصف الستة ـ أصحاب الشورى ـ وكأنهم مجموعة من الانتهازيين ، كل منهم يتحين الفرصة ليثب إلى الحكم ، حين يقول عن أصحاب الشورى الذين عينهم عمر ـ رضي الله عنه ـ :

«ولم يكد المشيرون يجتمعون حتى تبينوا الآفة الخطيرة التي كانت توشك أن تذهب بمجلسهم غير مذهب ، وهي ستة منهم كانوا مشيرين وكانوا جميعًا مرشحين للخلافة ، فلم يكن لهم بد من أن يحملوا أنفسهم على ما لم تتعود

(١) إسلاميات طه حسين ـ الفتنة الكبرى (عثمان) ص٧٠٠ .

(٢) إسلاميات طه حسين ـ الفتنة الكبرى (عثمان) ص٧٠٤ .

النفوس أن تحمل»[١]. فالقارئ الجاهل، أو من لا خبرة له بأحوال الصحابة وحقوقهم في الكتاب والسنة، قد ينطلي عليه هذا البهتان، ويشعر أنه أمام أناس تحولوا من رجال أتقياء صالحين بشهادة الرسول ﷺ إلى طلاب ملك ومكاسب شخصية.

ثم يقول:«يرى كل واحد منهم أنه أقدر على احتمال العبء، وأجدر أن يرعى ما ينبغي له من حق، وقد فوجئ المسلمون الذين كلفوا حراسة هؤلاء المشيرين مفاجأة أليمة حين رأوا هؤلاء المشيرين يختلفون في غير ائتلاف، ويتنافسون في غير وفاق، حتى قال أبو طلحة رئيس الحرس: لقد كنت من أن تدافعوها أخوف من أن تنافسوها، كان رحمه الله من سذاجته وطهارة قلبه يرى كما كان يرى عمر أن الخلافة عبء ثقيل ينبغي أن لا يطمع فيه، بل ينبغي أن يرغب الرجل عنه إيثاراً للعافية في دينه ودنياه، ولكن المشيرين لم يكونوا يرون هذا الرأي، وإنما كانوا يرون أن الخلافة واجب يجب أن يتنافس المتنافسون في النهوض بأعبائه مهما ثقل تقرباً لله إن حسنت بهم الظنون» **ولاحظ ـ أخي القارئ ـ هذا الإشراك ومغزاه، وكيف حكم على قلوب هؤلاء الأخيار ونواياهم، وجعل إحسان الظن استثناء في حقهم.**[٢]

إلى أن قال: «فقد كان علي يخاف أن يميل عبدالرحمن إلى عثمان لصهر كان بينهما، وكان غير علي يخاف أن يميل عبدالرحمن إلى سعد لقرابة كانت بينهما»[٣].

كما يصف بعد ذلك كبار الصحابة كذلك بقوله: «وأي غرابة في أن يعظم ثراء هؤلاء الناس من جهة، ويكثر أتباعهم وأشياعهم من جهة أخرى، ويصبح

(١) إسلاميات طه حسين ـ الفتنة الكبرى (عثمان) ٧٠٥.

(٢) إسلاميات طه حسين ـ الفتنة الكبرى (عثمان) ص٧٠٥.

(٣) نفس المرجع السابق.

كل واحد منهم رئيس حزب من الأحزاب، يراه أحق الناس بولاية أمور المسلمين، وينتهز الفرصة ليمكن من ولاية المسلمين»[١] **وهكذا تصدر أحكامه الجائرة دون دليل ولا برهان، وأغلب الظن أن مستنده في ذلك أقوال المستشرقين وكتب التاريخ التالفة التي وضعها الوضاعون من الشيعة والإخباريين التالفين.**

ولست أدري من يقصد بهؤلاء الذين شكلوا أحزابًا في المسلمين، إنما يكفي أنه يعني بهم أناسًا من الصحابة رضوان الله عليهم! ويخص منهم العشرة المبشرين بالجنة. فهل كان الرسول ﷺ مجانبًا للصواب حين شهد لهم بالجنة؟ وأخطر من هذا فإن الله تعالىٰ أقره علىٰ ذلك، فما هو ﷺ إلا مبلغ عن الله، ثم الشهادة لهم بالجنة تتعلق بالخاتمة، فهل علم هؤلاء أنهم بذلك يكذبون الله ورسوله ﷺ؟

ويقول طه حسين عن الوليد بن عقبة:

«وجملة القول أن الوليد إنما كان رجلاً من قريش أسلم إسلامًا ظاهرًا، واحتفظ بجاهليته كلها». .[٢] وقوله: «احتفظ بجاهليته كلها» تحامل لا مبرر له، وزعمه أنه أسلم ظاهرًا رجم بالغيب وحكم علىٰ القلوب، فيما لا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه، ولا دليل عليه، ولو قال ببعض خصال الجاهلية لكان الأمر أخف. . لأن الوليد بالرغم مما حصل منه من شرب وغيره فهو صحابي مات مسلمًا، ويعمه فضل الصحابة[٣]. .».

وقال فيهم رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي»**..[٤] الحديث.

---

(١) إسلاميات طه حسين ـ الفتنة الكبرىٰ (عثمان) ص٧١٨.

(٢) إسلاميات طه حسين ـ الفتنة الكبرىٰ (عثمان) ص٧٣٤.

(٣) راجع أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ لابن الأثير ص٩٠ ـ ٩١ جـ٥.

(٤) من حديث رواه البخاري في باب فضائل أصحاب النبي ﷺ كما رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

وقال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم**». [١] الحديث.

فبأي حق يتجرأ هؤلاء على سبهم دون حق أو علم أو دليل؟ فنحن نلاحظ أن الدكتور طه وأمثاله لا سند عنده، ولا دليل ولا حتى قرائن يعتمد عليها، حين أطلق تلك الأحكام الجائرة على أصحاب رسول الله ﷺ.

قال في تدريب الراوي عن عدالة الصحابة: «الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به». هذا نص التقريب، وقال السيوطي في الشرح:

«قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية [١٤٣: البقرة] أي عدولاً، وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [١١٠: آل عمران]، والخطاب فيها للموجودين حينئذ»، ثم ذكر قول إمام الحرمين: «والسبب في عدم الفحص عن عدالتهم أنهم حملة الشريعة، فلو ثبت توقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصره ﷺ، ولما استرسلت سائر الأعصار..»[٢] يعني أن الطعن في عدالة أحد من الصحابة نقلة الدين يعود إلى الطعن في الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ والشك في الدين الذي تكفل الله بحفظه. فتأمل رعاك الله.

ونعود إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ فقد كان هدفًا للعقلانيين، ومرضى القلوب من المنافقين والزنادقة.. وما ذاك إلا لأنه ـ رضي الله عنه ـ روى جزءاً كبيراً من السُّنَّة، وتُشَكِّل أحاديثه نسبة كبيرة من الأحاديث الصحيحة.. لأنه كان ملازمًا للرسول ﷺ، كما كان قوي الحافظة ببركة دعوة النبي ﷺ، فقد ذكر أنه قال للرسول ﷺ: يا رسول الله، أسمع منك أشياء فلا أحفظها، قال: «**ابسط**

(١) ثبت ذلك في: أحاديث رواها البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، راجع جامع الأصول جـ٨، ص٥٤٨.

(٢) تدريب الراوي ص٢١٤ جزء ٢.

رداءك» فبسطته فحدث حديثًا كثيرًا فما نسيت شيئًا حدثني به . .[١]

وقال له ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: «كنت ألزمنا لرسول الله وأحفظنا لحديثه» . .[٢] ومن أكثر العقلانيين قدحًا وتهجمًا على هذا الصحابي الجليل **محمود أبو رية**، وقد أفرد له كتابًا أسماه «شيخ المضيرة»، وأكثر من ذلك في كتابه «أضواء على السنة المحمدية».

وهذه نبذة من أقواله فيه:

بعد أن ذكر أن أقوال الرسول ليست من الدين العام بحيث لا يعول إلا عليها وأن الصحابة كانوا ينقلون الرواية عن رسول الله، قال:

«وهذا الأمر قد دعانا إلى أن نفرد ترجمة خاصة لمن كان أكثر الصحابة تحديثًا عن رسول الله، وأوسعهم رواية . . على حين أنه كان من عامة الصحابة، وكان بينهم لا في العير ولا في النَّفير، ذلك هو أبو هريرة.

ولولا أن هذه الكثرة البالغة بفضل فقه الجمهور بها، وقد استفاضت في كتب الحديث، وأخذت مكان الاعتبار والتصديق من قلوب المسلمين، وسيطرت على عقولهم وأفكارهم، وجعلوها من عام دينهم على ما فيها من مشكلات تحار فيها عقول المؤمنين، وشبهات وخرافات تتخذ مطاعن على الدين، وأسانيد يتكأ عليها في إثبات الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها من الملل والنحل . . لولا ذلك كله ما جرى بهذا البحث قلمُنا» . .[٣]

ثم هو يتهم أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ بأنه لم يصاحب رسول الله للمحبة

---

(١) أخرجه الترمذي ـ كتاب المناقب ـ مناقب أبي هريرة ـ الحديث رقم (٣٨٣٥)، وهو طرف من حديث قد أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب ـ مناقب أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ رقم٣٨٣٦. وقال: حديث حسن.

(٣) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية ص١٩٥.

والهداية، إنما لأغراض مادية، فيقول:

«كما كان صريحًا صادقًا في الكشف عن حقيقة نشأته[١]، فلم يقل إنه صاحبه[٢] للمحبة والهداية ـ كما كان يصاحبه غيره من سائر المسلمين ـ وإنما قال: إنه قد صاحبه على ملء بطنه». [٣]

وقال فيه آخر:

«كذلك لا يوجد ذو عقل ودين يقبل من أبي هريرة أحاديث تخالف نصوص القرآن» إلى قوله: «ومن المعلوم أن أبا هريرة كان قد أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بنحو ثلاث سنوات، وعلى رواية من سنتين. من العجيب أنه روى من الأحاديث حول الحدود والفرائض والأحكام ما لو جمعت لزادت على ما روته الصحابة كافة، وكانت أحاديثه معظمها خيالية مفرطة وعلى جانب كبير من الغرابة كحديث الشيطان عند التأذين مثلاً»[٤] **ولست أدري لماذا ضاقوا بأبي هريرة رضي الله عنه وبما رواه، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون أحد نقلة الدين عنه، لكن ربما لأن مروياته اشتملت على كثير مما لا يوافق أهواءهم.**

وخير ما نرد به على هؤلاء: قوله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه»..**[٥].

وقد شهد له الصحابة ـ رضوان الله عليهم بالفضل.

---

(١) يعني أبا هريرة.

(٢) أي صاحب رسول الله ﷺ.

(٣) أضواء على السنة المحمدية ص١٩٧.

(٤) هذا هو الإسلام لفاروق الدملوجي ص٢٨، ٢٩.

(٥) البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ـ باب قول النبي: لو كنت متخذاً خليلاً، ومسلم في فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم (٣٢٢)، كما رواه أبو داود والترمذي.

فقال عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ : «كنت ألزمنا لرسول الله وأحفظنا لحديثه»[١] وجاء في المستدرك عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: (. . . فإنه بينا أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالىٰ ونذكر ربنا خرج علينا رسول الله ﷺ حتىٰ جلس إلينا، قال: فجلس وسكتنا. فقال: «**عودوا للذي كنتم فيه**» قال زيد: فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله ﷺ يؤمن علىٰ دعائنا، قال: ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك مثل الذي سألك صاحباي هذان، وأسألك علمًا لا ينسىٰ. فقال رسول الله ﷺ: «**آمين**» فقلنا: يا رسول الله، ونحن نسأل الله علمًا لا ينسىٰ. فقال: «**سبقكم بها الدوسي**»[٢].

أما ملازمته رسول الله ﷺ لفقره ومسكنته، فهذا لا يعني أنه لا يحب رسول الله ﷺ، والفقر ليس عيبًا يعاب صاحبه به.

أما كونه أسلم قبل وفاة الرسول بثلاث سنوات، فإنها كافية لمثله أن يحفظ ما صح عنه من أحاديث عن رسول الله ﷺ. لأنه كان ملازمًا له، وكان حريصًا علىٰ حفظ الحديث، كما ذكرت في قول الرسول له: «**ابسط رداءك**».

وهذا إقرار من الرسول ﷺ لأبي هريرة بالحفظ والتلقي من معين النبوة.

ودعوىٰ أنه روىٰ عن رسول الله ﷺ ما يخالف القرآن فتلك دعوىٰ لا دليل عليها، فلا يلتفت لها؛ لأن الأمة تلقت أحاديثه التي صحت عنه بالقبول، أما ما وضعه عليه الوضاعون والعقلانيون القدامىٰ، فلا يلتفت إليه؛ لأنه عُرف ومُحِّص وأخرج من الصحيح.

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب ـ مناقب أبي هريرة ـ حديث رقم (٣٨٣٥).

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. كتاب معرفة الصحابة، في ذكر أبي هريرة الدوسي جـ٤ ص٥٠٨، وقال فيه الحافظ الذهبي في تلخيصه: (قلت: حماد ضعيف) (التلخيص للذهبي حاشية المستدرك) جـ٣ ص٥٠٨.

وبعض العقلانيين قد يسب الصحابة بالجملة، فلم يسلم خيار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من القدح والأذىٰ من أولئك.

يقول أبو شادي:

«ناهيك بغفلة أمثال أبي هريرة، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عباس، وكلهم انتحلوا الحديث، وتأثروا بالإسرائيليات الغريبة، وراح ابن عباس المطعون في ذمته يزعم أن المعوذتين ليستا من القرآن». [١] ويقول الدملوجي أيضًا: «قبلوا من أبي هريرة وابن رزين وابن عباس، ومن اليهود الذين أسلموا ليفسدوا الشريعة الإسلامية» [٢].

ومن الغريب أيضًا أن العقلانيين المعاصرين لا يثقون بشهادة الرسول ﷺ لبعض الصحابة بالجنة كالعشرة، وعباراتهم تنبئ عن الشك في هذا.

فمن عباراتهم:

قول الدكتور طه حسين في سعيد بن زيد أحد المبشرين بالجنة:

«مع أنه من العشرة الذين كان الناس يرون أن رسول الله ﷺ قد ضمن له الجنة» [٣]. لقد أعمىٰ الله بصيرته كما أعمىٰ بَصَرَهُ! نسأل الله العافية.

كذا بهذه العبارة الباردة (كان الناس يرون) فهو يلقي تبعة القول علىٰ الناس، فلم يصدق بأن الرسول ﷺ بشرهم بالجنة، وأظنه يخاف أن يسخر منه المستشرقون وزملاؤه الآخرون من العقلانيين، حين يصدق خبر رسول الله فيهم.

ويتابعه زميله (أو تلميذه) أبو رية حين يقول:

---

(١) ثورة الإسلام لأحمد زكي أبو شادي ص١٧٤.

(٢) هذا هو الإسلام للدملوجي ص٢٧ ـ ٢٩.

(٣) إسلاميات طه حسين ـ الفتنة الكبرىٰ (عثمان) ص٧٠٠.

«كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، كما يروون»[١]..

ويقول عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: «وسعد هذا من كبار الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة كما يقولون[٢]».

وشهادة رسول الله ﷺ للعشرة المبشرين بالجنة ثابتة في السنة الصحيحة، وقد تلقتها الأمة بالقبول باتفاق أهل السنة، فقد روى أبو داود، والترمذي، وغيرهما، عن سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قوله: أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ وإني لغني أن أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غدا إذا لقيته ـ: **«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» وسكت عن العاشر، قالوا: ومن هو العاشر؟ فقال: سعيد بن زيد ـ يعني نفسه ـ**[٣].. إلخ.

وقد اتفق أهل السنة وسائر المسلمين ـ عدا الرافضة ـ على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم..[٤] فضلاً عن شهادة رسول الله ﷺ الثابتة لهم، وكفى بها.

وقد أيد الدكتور طه حسين أبا رية فيما ذهب إليه في كتابه «أضواء على السنة» من القدح في رواة الحديث النبوي من الصحابة والتابعين، وأنه لا تنبغي الثقة بتلك الأحاديث التي رووها؛ لأنهم من المحتمل أن تكون سرائرهم مدخولة.

---

(١) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية ص٥٦.

(٢) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية ص٥٥.

(٣) جزء من حديث رواه أبو داود في السنة ـ باب في الخلفاء، والترمذي في المناقب، وقال: حديث حسن صحيح، وقد صححه المحدثون (راجع جامع الأصول جـ٨، ص٥٦٠).

(٤) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٥.

فيقول عن الراوي للحديث أيّاً كان:

«وقد يكون الرجال الذين روىٰ عنهم حديثه صادقين مأمونين مثله يقبل القضاة شهادتهم إن شهدوا عندهم، ولكن سرائرهم مدخولة تخفىٰ دخائلها علىٰ الناس». .[1] وهذا كلام لا يقوله إلا مغرض؛ لأن كون السرائر قد تكون مدخولة غيب لا يجوز لنا افتراضه في الدين، لأننا متعبدون بالظاهر، وبما نستطيعه، أما ما لم يبلغه علمنا فأمره إلىٰ الله، والعدالة هي الأصل في سائر الصالحين من المسلمين، فكيف بالصحابة والتابعين وخير القرون؟!

ويقول الدملوجي: «والغريب أن بعض المغالين من المحدثين قد قبلوا بعض الأحاديث مع مضاربتها نصوص القرآن، ويكفي عندهم أن يكون الرواة المحدثون ممن يعتقد بصحة رواياتهم، فقد وزن رجال الحديث زهد الرواة وصدقهم وإخلاصهم وتعبداتهم، ولم يزنوا أقوالهم ومطابقتها للقرآن، فطلبوا من أبي هريرة، وابن رزين، وابن عباس، ومن اليهود الذين أسلموا ليفسدوا الشريعة الإسلامية كل ما قالوه، عن حسن نية أو سوء قصد عن السيد الرسول ﷺ دون النظر إلىٰ مطابقته الموضوع لما هو موجود في القرآن، مكتفين بإخلاص المحدث وتقواه وتظاهره بالإسلام»[2]. . **قلت: لقد رد الكاتب على نفسه من حيث زعم أنهم يروون ما يخالف القرآن، وهذا لم يقع من الرواة العدول بحمد الله. وكذلك قوله: مكتفين بإخلاص المحدث وتقواه وتظاهره بالإسلام، وهذه بغية كل باحث عن الحق فإذا توفرت هذه الصفات فحسبك بالراوي وروايته.**

ونرىٰ هذا الخلط العجيب، والجهل المطلق بمنهج السلف في الحديث، فهذا الكاتب يزعم أنهم يقبلون ما يخالف القرآن، وأن الرواة الثقات الزاهدين الصادقين أيضاً يروون ما يخالف القرآن. وهذا يوهم الجاهل بأنه صدق

(١) كلمة للدكتور طه حسين في مقدمة أضواء علىٰ السنة المحمدية لأبي رية ص١٠.

(٢) هذا هو الإسلام ـ فاروق الدملوجي ـ ص٢٧، ٢٨.

وحق، وهو من الباطل كما أسلفت، فأين ما رووه مما يخالف القرآن. عند التحقيق لم يوجد بحمد الله، وبهذا يعود سحر الساحر عليه.

لأن الواقع والصحيح خلاف ذلك، فإن رواة الحديث وعلماءه وكل المسلمين الذين على السنة لم يقبلوا من الروايات ما يخالف القرآن بهذا الإطلاق، كما بينت آنفًا.

إذن فقد ثبت أن الصحابة والتابعين وسائر الرواة العدول لم يحدث ـ ولم يثبت ـ أن أحدًا منهم روى ما يخالف القرآن وما ينبغي لهم، وما كذبه عليهم الوضاعون في ذلك قد مُحِّص وبُيِّن وعُرف... لكن هذا شيء يقصر عنه علم العقلانيين، والذين في قلوبهم مرض، والمرتابين.

ومن أساليب العقلية الحديثة أيضًا: وصف المجتمعات الإسلامية الأولى بصفات سلبية جاهلية، وأنها كغيرها من المجتمعات الفاسدة، تمارس الرذيلة وتعايش المنكرات فيسبون أبناء الصحابة والتابعين والقرون الثلاثة الأولى الفاضلة، التي شهد لها الرسول ﷺ بالفضل، والتي أثبت التاريخ أنها خير مجتمع بعد الصحابة في الصلاح والاستقامة والعدل والإحسان، يصفونها بأنها مجتمعات مجون وانحلال.

يقول أحمد أمين عن تلك القرون الفاضلة:

«بجانب هذه الحياة الجليلة الوقورة التي تصفها لنا كتب طبقات المحدثين والفقهاء والمفتين، كانت تسود في الحجاز حياة أخرى هي حياة فرح ومرح وطرب وشراب، تصفها لنا كتب الأدب وخاصة كتاب الأغاني»..[1]

(١) فجر الإسلام لأحمد أمين جـ١ ص١٧٦.

ثم يقول: «بالحجاز زهد، وورع، وتقوى، وحديث، وفقه، وكان بالحجاز شراب وتشبيب بالنساء ـ حتى في موسم الحج ـ ولهو، ولعب كثير». .[١]

«فقد امتلأت مكة والمدينة وضواحيها بالمغنين والمغنيات حتى روى لنا أبو الفرج أن المغنين كانوا يخرجون إلى الحج قوافل». .[٢]

«وكان لمغني مكة مذهب في الغناء، ولمغني المدينة مذهب». .[٣]

«والحق أن الحجاز كان غنيا بفَنَّي الغناء والمنادرة كما كان غنيًا بالفقه والحديث». .[٤]

وأول ما يلفت النظر أن المؤلف اعتمد في كل هذا على كتاب الأغاني الذي يورد فيه صاحبه مما هب ودب دون إسناد ولا تحقيق ومما افتراه الزنادقة والفساق والإخباريون التالفون على السلف الصالح، وجعل من كذبهم حقائق علمية في زعمه.

وقد فعل مثل ذلك زميله الدكتور طه حسين حين قال عن التابعين وتابعيهم بإحسان:

«ورأينا أبناء أبي بكر، وعمر، وعثمان، وزهرة الشباب الهاشمي، مضطرين إلى أن يحيوا في ضياعهم، فأما أكثرهم فانصرف إلى اللهو والمجون وأما أقلهم فانصرف إلى الدين والتلقي، ووقف فريق بين بين يحتفظ بمكانته الدينية، ويأخذ مع ذلك بحظه من متاع الحياة». .[٥]

كذا بهذه اللهجة الاستشراقية وبهذا البهتان العظيم يزعم: أكثرهم انصرف

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فجر الإسلام لأحمد أمين جـ١، ص١٧٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) حديث الأربعاء ـ طه حسين ص٢٤١ جـ١ طبعة ١٩٦٥.

إلى اللهو والمجون وأقلهم إلى الدين، إنه يقول هذا دون أن يثبت ذلك بدليل أو قرينة، ولا إخاله يستطيع ذلك؛ لأن التاريخ يثبت خلاف ذلك، فقد كان مجتمع أبناء الصحابة وأبنائهم هو من القرون الفاضلة التي جاهدت في الله حق جهاده، والتي حملت الدين وأقامته، وشيدت الدولة والحضارة الإسلامية الشامخة، وكان الصالحون فيهم هم الأكثر، والإسلام فيهم مهيمن، وكان الدين كله لله، وبالطبع أن يوجد بعض الفسقة، وأصحاب المجون، لكنهم قليل جداً وهم مخذولون أذلة صاغرون. ومما يدل على افترائهم زعم الدكتور نفسه أن الصحابي الجليل عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ كان يرتاد مجالس المغنيات فيقول:

«ولعلك تعلم مكانة عبدالله بن جعفر، وهذا الجلال الديني الذي كان يحيط به، وأنه لم يكن يكره أن يسمع الغناء، ولا أن يختلف إلى مجالس المغنيات»[1] **وعلى أية حال أظنه من الخبل أن نطالب طه حسين وأمثاله بالدليل على ما يقول، لا سيما وقد أحالنا على بضاعته من كتب الأدب والتاريخ التي لا أصل لها، فقد كفينا بحمد الله.**

وبما أن أقوال العقلانيين المحدثين في الصحابة والتابعين والسلف وأهل السنة والجماعة وافتراءاتهم عليهم كثيرة، فإني أرى أن أسرد نماذج من تلك الأقوال ثم أرد عليها مجتمعة:

يقول طه حسين عن عصر التابعين والقرن الأول، وأول القرن الثاني:

«إن النتيجة الواضحة التي انتهت إليها هذه الفصول كلها هي أن هذا العصر الذي انحلت فيه الدولة الأموية، وقامت عليه الدولة العباسية، قد كان عصر شك وعبث ومجون، أو كان الشك والعبث والمجون أظهر مميزاته»..[2]

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) كل أولئك هم الذين ترجم لهم طه حسين في كتابه «حديث الأربعاء» ومن ثم حكم بهم وبمجونهم وفسقهم على المسلمين في ذلك الحين!

كذا بهذا الأسلوب عصر التابعين وأبناء الصحابة وخيرة قرون الإسلام يحوله الدكتور طه إلى عصر شك وعبث ومجون، وإذا تنازل فالشك والعبث والمجون أظهر ميزاته. ونقول: سبحان ربنا هذا بهتان عظيم، إنه حكم على المسلمين كلهم من خلال سيرة الزنادقة، والماجنين، والفساق.[1] **أما علماء الأمة، وأئمة الدين الأعلام الذين زخرت بهم تلك الأزمنة، والذين كانوا هم أهل الحل والعقد في الأمة، وهم ربان سفينة المجتمع آنذاك، وهم القدوة الأعلام، فقد صاروا عند طه من سقط المتاع!**

ويقول أحدهم عن أهل السنة والجماعة:

«أما أصحاب المدرسة القديمة المحافظة وكان يرأسها أحمد بن حنبل فبقيت جامدة حول النصوص لا حراك فيها، فلم تقدم، ولم تؤخر، وكأنها بمعزل عما آثاره الدخلاء والمضللون والمفسدون الذين قبلوا الديانة الإسلامية مرغمين أو من الملل الأخرى من نصرانية ويهودية ووثنية وبقايا الزرادشتية والمانوية والمزدكية، وكانوا بمثابة المحافظين على السياسة والفلسفة والعلم والدين، فوقفوا عند النص لا يتزحزحون قيد شعرة من حرف ولفظ.. وعندما تغلبت هذه المدرسة القديمة على المتكلمين والمعتزلة في زمن المتوكل تبينت قواعدها **واستدامت** عقائدها، ولم تزل مستديمة في جمودها حتى يومنا هذا..»[2].. ويقصد بالجمود: التمسك بالدين وبالمدرسة القديمة، أهل السنة، وقوله: لا تزال إلى يومنا. نقول له: ولن تزال إلى قيام الساعة تحقيقًا لقوله ﷺ: **«لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»**.. رواه البخاري ومسلم..[3] وغيرهما بنحوه.

---

(١) راجع حديث الأربعاء ـ الجزء الأول.

(٢) هذا هو الإسلام لفاروق الدملوجي ص٣٦.

(٣) رواه البخاري في كتاب الاعتصام ـ باب قول النبي ﷺ **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين»**، ومسلم في كتاب الإمارة ـ باب قول النبي (ﷺ) **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا**

ثم يقول: «ونشط العلماء الرجعيون يحدثون بالروايات والمنقولات». .[١]

«فخنقوا حرية البحث والاستقراء وأعلنوا أن ليس لأحد أن يتعرض لأحكام الدين». .[٢] يعني بذلك أهل السنة.

ويقول أيضًا:

«ولم يكن بمقدور الحنابلة ورجال أهل السنة والجماعة المحافظون على أمانة النصوص والجامدون على المنقولات والروايات الصمود تجاه هذه التيارات العنيفة، كما لم يكن لديهم من الجرأة والشجاعة ما يمكنهم من الوقوف وقفة المدافع والمناضل عن حياض القواعد الإسلامية. .»[٣]. .

«وكان الأشاعرة ومن تمذهب بمذهبهم من أهل السنة والجماعة يلعنون الفلاسفة وأهل الفكر والمعتزلة ومن يذهب مذهبهم ويحرقون كتبهم تقربًا إلى الجمهور الجاهل، وزلفى إلى الله. وبهذه الطريقة النكدة انطفأت الآراء الحرة من رؤوس المفكرين فكانت السبب في سقوط العالم الإسلامي من شاهق عزه، ولم يزل منحدرًا لا يرتقي»[٤] وهكذا نرى هذا العقلاني المتهور يضيق ليس بأهل السنة **فحسب بل حتى من متكلمة الأشاعرة ويحشرهم مع أهل السنة.**

ويقول آخر:

«بقيت الأقطار المتخلفة مجترة معارف السلف المحدودة وتقاليدهم معرضة عن روح التقدمية العلمية الرفيعة فصارت أبعد ما تكون عن الإسلام»[٥]. .

يضرهم من خالفهم» حديث رقم ١٧٠.

(١) هذا هو الإسلام للدملوجي ص٥٠.

(٢) المصدر السابق ص٥٠.

(٣) المصدر السابق ص٥٢.

(٤) المصدر السابق ص٦١.

(٥) ثورة الإسلام ـ لأحمد زكي أبو شادي. ص٦٥.

ثم يقول: «أما القول باتباع السلف الصالح فسليم من ناحية المبدأ، وقد يكون خادعًا عقيمًا أو ضارًا من ناحية التطبيق، إذا كان في أيد غير نزيهة تميل إلى التلاعب، في حين أن الواقي من هذا الخطر الذي لا يأتيه الباطل من أمامه ولا من خلفه هو مذهب الأصولية العلمية»[١]. **وقد أنطقه الله بالحق وهو لا يشعر، فإن مذهب أهل السنة هو الذي يتحقق فيه هذا الوصف.**

ونذكره أن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كتاب الله ووحيه فقط، وهو ما يتمسك به أهل السنة.

ويصف عبد الستار الراوي السلف بالتخلف والرجعية حينما قاوموا شيوخه وأسلافه المعتزلة فيقول عن ما أسماه (الحنبلية): «التي كانت من أشد التيارات السلفية عداء ورفضًا للاعتزال، وأكثر الفرق الإسلامية تخلفًا ورجعية(!) وقد اتسمت قيادتهم بالرعونة والفوضى»[٢] ويقول مفضلاً المعتزلة وسابًا للسلف: «وبالقدر الذي أبداه معتزله القرن الثالث من الانفتاح الفكري، فإن السلفية (الحنبلية) لم تستطع أن تحلل ضرورة لجوء الاعتزال إلى الفكر العالمي، وانفتاحه على فلسفته وخبراته المنهجية»[٣].

وهكذا يذم الاستمساك بالوحي والتزام السنة، ويمدح اتباع الأمم الهالكة الذين حذر الله منهم ورسوله ﷺ.

ويقول محمد أحمد خلف الله:

«يجب أن نغير من أفكار هذا الإنسان ومن اتجاهاته وأساليب معيشته، وأن نستبدل قيمه السلفية بقيم أخرى جديدة تمكنه من السير في مضمار الحياة على أسس من الحضارة العلمية الصناعية الحديثة وإلا ظللنا عاجزين على أن نحدث

(١) ثورة الإسلام ـ لأحمد زكي أبو شادي ص١٢٣.

(٢) العقل والحرية ص٣٤.

(٣) المصدر السابق ص٢٠.

أي تغيير في أسلوب معيشتنا فضلاً عن أن نحقق التقدم والرخاء» .[١] إن استبدال القيم السلفية الإسلامية بقيم غربية جاهلية هدف أساس من أهداف المدرسة العقلية الحديثة، كما صرح الكاتب.

وهكذا تبدو حرباً سافرة على السلف الصالح وأهل السنة؛ الصحابة ومن بعدهم، يتولى تسعيرها العقلانيون، والمستشرقون. وبعض من ينسبون للدعوة الإسلامية كالترابي الذي يزعم أنه ليس هناك فرق بين الصحابة وبين غيرهم في العدالة والرواية! وأنهم ليسوا كلهم عدول، ثم يلمز بعض الصحابة رضي الله عنهم[٢].

ويقول محمد عمارة: «أما سلفية الاتجاه العقلاني المستنير فهي لا تدعو للعودة إلى مجتمع السلف لأنها تدرك استحالة ذلك فضلاً عن خطره وضرره...»[٣] وهكذا يزعم أن السير على نهج السلف الذي هو السنة مستحيل وضار كذلك.

ويزعم الترابي «أن أفكار السلف الصحيح ونظمهم قد يتجاوزها الزمن»[٤] ويسير على هذا الاتجاه محمد عمارة ومحمد الغزالي السقا حين سخر بكثير من الأحاديث الصحاح وسخر بأهل الحديث وكثير من علماء السلف.

وعلى كل حال: فإننا تبينا من خلال هذه النصوص القليلة عن بعض رواد المدرسة العقلية الحديثة، أنهم يقولون ويقدحون في أصحاب رسول الله ﷺ وفي التابعين والسلف الصالح، والقرون الثلاثة المفضلة الفاضلة؛ لهوى في نفوسهم، وانحراف في عقولهم؛ لأن العقل السليم لا يرضى بأن يقول شيئًا

(١) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة للدكتور أحمد محمد خلف الله ص٦١.

(٢) انظر الرد القويم، للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد.

(٣) تيارات الفكر الاسلامي لمحمد عمارة ٢٨٧، ٢٨٨.

(٤) تجديد الفكر الإسلامي حسن الترابي ص٢١.

يخالف الواقع، ويخالف الحقيقة الناصعة، ويخالف التاريخ الواضح، ويخالف الحقيقة العلمية التي يزعمونها.

فهم حين يقدحون في تلك القرون الفاضلة، يخالفون الشَّرع والعقل والعلم والإجماع والواقع والتاريخ، ولم يبق لهم إلا شبهات أساتذتهم المستشرقين، وإلا هوىٰ نفوسهم التي أظهروا أنها تكره الدين والإسلام ومن ثم تريد التشفي من حملته وأعلامه.

أما مخالفتهم للشرع فتتبين من مخالفتهم لآيات القرآن التي تزكي أصحاب رسول الله ﷺ. قال تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٢٩: الفتح]. وآيات كثيرة أخرىٰ.

كما وردت أحاديث كثيرة في تزكية الصحابة وتحريم سبهم في صحيح السنة عن رسول الله ﷺ ذكرت شيئًا منها قبل قليل.

كما أن هناك أحاديث في تزكية القرون الأولىٰ وهي صحيحة أيضًا.

وأذكر منها قوله ﷺ فيما رواه عمران بن حصين: «**خيرالناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**». قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة..[1] الحديث.

أما العقل، فإنه لا يستسيغ أن يطعن في عدالة وتزكية وسلامة وصلاح مجتمع بأكمله توجد كل الأدلة علىٰ صلاحه وفضله وسبقه إلىٰ الخير والإيمان، بل أجيال متعاقبة وقرون، بمجرد ظنون أو من خلال سلوك أفراد منه كالزنادقة

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي. راجع صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٢١١ وراجع جامع الأصول جـ٨ ص٥٤٧.

والمنافقين والفساق فأهل الأهواء والافتراق ونحوهم، في حين أن تاريخ الأمة بمجموعها يشهد لها بالصلاح بإجماع العالم، بل إن العقلانيين أنفسهم يعرفون أن مجموع الناس في ذلك الوقت ورواد العلم وقواد الجيوش والولاة كلهم في جملتهم مسلمون صالحون متمسكون إلا النادر الذي لا حكم له.

أما الإجماع فهو لم يكن من المسلمين فحسب، بل شهادة عقلاء الكفار بذلك معلومة، . . بل إن الأمم كلها تشهد بأن المسلمين في قرونهم الأولىٰ علىٰ الأقل خير مجتمع سعدت به الدنيا، وإن كانوا يأخذون عليهم مآخذ جزئية في بعض الأمور الاعتقادية التي يخالفهم بها أهل الأديان الأخرىٰ. لكنهم يشهدون للأمة الإسلامية بالفضل علىٰ البشرية.

أما المسلمون بشتَّىٰ فرقهم كأهل السنة والمعتزلة والشيعة المعتدلة (**إن صح التعبير**). . فهم لا خلاف بينهم أن القرون الثلاثة الأولىٰ هي خير القرون، وأفضلها.

كما أن الله أمرنا باتباعهم وسلوك سبيلهم، هم وسائر المؤمنين المخلصين، الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله فقال تعالىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ [١١٥: النساء].

فيجب علىٰ كل مسلم موالاتهم[1]، وخصوصًا العلماء منهم، وسائر الذين قدحت فيهم العقلية الحديثة والقديمة، إنما هم خيرة علماء الأمة وأعلامها، وتلك مصيبة!

فالقدح فيهم ـ لا سيما الصحابة وعلماء السنة ورواتها ـ يكون قدحًا في دين الله (الإسلام) **لأنهم هم الذين نقلوا لنا السنة العملية والقولية**، بل القرآن نفسه إنما جاءنا عن طريق الصحابة ثم التابعين وهكذا. . فقد توفي رسول الله والقرآن في صدورهم وعسبهم وأوراقهم وصحائفهم.

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٩.

وحين تكفل الله بحفظ الذكر وهو القرآن والسنة (أي عموم الوحي والشرع) . . فإن ذلك يستلزم تزكيتهم وعدالتهم وصلاحهم؛ لأنهم هم الذين حفظ الله بهم الذكر.

والعقلية الحديثة، والقديمة قبلها، حين تحاول إسقاط حجية السنة بهذه الوسائل والأساليب الرديئة فإنها كناطح صخرة، ليوهنها بأنامله ولا أعجب وأغرب من كونهم يفعلون ذلك، زاعمين أنهم إنما يسلكون طريق الموضوعية والعلمية، والعلمية والموضوعية منهم براء.

ومما يبرهن على أن بصائر هؤلاء العقلانيين عمياء، وقلوبهم مقلوبة، وأمزجتهم فاسدة بالأهواء: أنهم حين يرد ذكر أئمة الضلالة من الجهمية، والمعتزلة، والفلاسفة، والباطنية، والزنادقة وأهل المجون، نجدهم يرفعون عقيرتهم بالمدح والثناء عليهم وتمجيدهم والتأسف لما حصل لبعضهم من إقامة حدود الله فيهم، وحين يذكر الصحابة أو بعضهم أو أئمة الدين أو أحدهم يشرعون بالسب والاستنقاص والشتم والسخرية ويضيقون بهم ذرعًا. واسمع قول الله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾. واسأل ربك العافية فإن الهداية موهبة من الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده، وأن من ضل وأتبع هواه لا ينفعه علمه ولا ذكاؤه ولا مواهبه ولا عقله ولا ثقافته ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [٤١: المائدة].

*****